البنى الأسلوبيّة في الأدب الصّغير والكبير (مقاربة حِجاجيّة)

*فريال هديب**

ملخص

لمّا كان خطاب ابن المقفّع في مدوّنته النّثريّة "الأدب الصّغير والأدب والكبير" ذا مقصديّة تستهدف حمل المتلقي على إحداث تغيير في منظومته القيميّة التي تتشكّل في ضوئها علاقته مع "الأنا" ومع "الآخر" فقد استدعاه ذلك إلى تشييد خطابه وفق استراتيجيّة تعبيريّة تستثمر الأساليب اللغويّة بأبعادها الحجاجيّة التداوليّة، وبقدرتها على إحداث التوّجيه المتوخّى في ذهن المتلقي من غير إكراه أو إلزام، وعليه فقد نهض البحث بدراسة التقنيات الأسلوبيّة الحجاجيّة التي تأسّس وفقها خطاب ابن المقفّع في التعبير عن رؤاه، وفي إقناع متلقّيه بجدوى الإذعان إليها، والدّفع به ليتمثّلها في حياته.

وانجلت الدراسة عن اتّكاء خطاب ابن المقفع على ثلاثة أساليب هيمنت على أبنيته الحجاجيّة التداوليّة وهي: أسلوب الشّرط، وأسلوب التّفضيل، وأسلوب المقابلة وهي أساليب انفردت وتضامّت مع بعضها ومع غيرها في التّعبير عن مقاصد الخطاب وغاياته.

الكلمات الدالة: نثر عبّاسيّ، حجاجيّة، أسلوبيّة، ابن المقفّع.

المقدمة

قال ابن المقفع: "**وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفًا فيها عوْنٌ على عِمارة القلوب وصقالها، وتجلية أبصارها، وإحياء للتفكير، وإقامة للتدبير، ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله**". (**ابن** المقفع، 1987، 14) وقال: "**وأنا واعظك في أشياء من الأخلاق اللطيفة، والأمور الغامضة التي لو حنّكتك سنّ كنت خليقًا أن تعلمها، وإن لم تُخْبَرْ عنها، ولكنّي قد أحببت أن أقدّم إليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل أن تجري على عادة مساوئها؛ فإنّ الإنسان قد تبتدر إليه في شبيبته المساوئ، وقد يغلب عليه ما بدر إليه منها للعادة، وإنّ لترك العادة مؤونة شديدة، ورياضة صعبة.**" **(ابن المقفع، 1987، 54)**

وتؤشّر هذه الأقوال على أن الخطاب في الأدب الصغير والكبير تأثيريّ في منزعه، إقناعي في مقصده وغاياته. ولمّا كان الخطاب الذي يستهدف الحمل على تغيير ما اعتاده المجتمع وألفه من منظومته القيمية طارفها وتليدها قد يواجه بالرفض، والنظر إلى رياح التغيير بوصفها ضربا من المغامرة، والإبقاء على الواقع القيمي السّائد خير من جديد قد تكون معطياته مجهولة ونتائجه قبض الريح، فيغدو على منشئ الخطاب الأخلاقي بناءه وإنجازه وفق آليات وإستراتيجيّات ذات وظائف حجاجيّة وتأثيرية تتسلّل إلى ذهن المتلقي بحمولاتها الدلالية، وتحدث أثرها فيه ليعيد النظر في علاقته مع الأنا ومع الآخر؛ فسلوك الأفراد وردّ فعلهم إزاء الخطاب ولا سيّما الأخلاقي مرهون بالحجج، والنتائج التي يقدمها صاحب الخطاب الذي عليه تقصّي الأدوات والتقنيات ذات الأبعاد الحجاجيّة الإقناعيّة، واستثمارها في توجيه المتلقي الباحث عن النفع والفائدة التي يجنيها من وراء الإذعان لحمولات الخطاب؛ فهو خطاب عقلي إقناعي "ينهض على آلية تتصل أساسًا بإقامة (الدليل) بواسطة (الحجج) التي تبرّر الأخبار التي تحصل عن العالم، والروابط السببيّة التي تصهر الأقوال فيما بينها. وترتبط هذه الآلية خاصة بأساليب الإخراج القولي للفاعل المحاجِج لذلك نسمّيها – في توازٍ مع أشكال الخطاب الأخرى – الإنجاز الحجاجي" (شارودو، 2009، 17) و(بلنجر، 2010، 406–409).

والحجاج كما يراه أحد كبار منظّريه (بيرلمان): "هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" (صولة، 2011، ص13)، وغاية الحجاج "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه، أو الإمساك عنه، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في الوقت المناسب." (صولة، 2011، 13) وفي إطار التنوع في المخاطِبين وتنوع أساليبهم فيركز (بيرلمان) " على أهمية أن يعي المتكلمون

* قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2018/7/24، وتاريخ قبوله 2019/6/2.

 ©2021 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أنّ الفعل الحجاجيّ عبارة عن عمل جادّ، وليس نوعًا من التسلية الكلامية، وأنّه يتطلب قناعة ذاتية، ووثوقًا نفسيًا وعضويًا به ممن يمارسه" (طلبة، 2010، 517/1)، ويفترض أنّ "الحجج نفسها التي نقنع بها الآخرين عندما نقصدهم بالخطاب هي ذاتها التي نستخدمها عندما نفكر، ونحادث أنفسنا" (طلبة، 2010، 518)، فالمحاجِج مطالب بالانسجام مع ذاته، والإيمان بما يطرحه على المتلقين، بل وأن يترجم هذا الإيمان إلى أفعال وسلوك في الحياة العامة والخاصة، وإلا تحوّل حجاجه إلى أكذوبة قد تجد من يقبل عليها في المدى القصير، لكنّ تأثيرها يظل تأثيرًا عابرًا.

وآليّات الحجاج ذات التأثير في إقناع المتلقي متنوعة، وأنواع الحجج متعددة رصدها منظرو الحجاج، ومن درسوا النصوص في ضوء النظر الحجاجيّ وعلى رأسهم من الباحثين العرب عبدالله صولة في كتابه "الحجاج في القرآن". وسامية الدريدي في كتابها "الحجاج في الشعر العربي".

والنصوص التواصليّة ذات الطّابع الإقناعي تفترض نظرية استدلالية، ومقاربة جديدة للتعبير عن رؤى الفكر، وإدراك مقاصده، ولما كانت العملية التخاطبيّة ترتكز على النموذج التبليغيّ والتفاعليّ وجب ضرورة الاستعانة بصور وأساليب استدلالية حجاجيّة للتوجيه والتأثير، واقتحام عالم المتلقي، وتغييره تغييرًا جذريًا أو جزئيًا؛ (عبدالرحمن، 2014، ص51)، حتى يحقّق المنشئ إقناعيّة لمطالبه ومقاصده من المتلقي بصورة "لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتّبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجرّ الغير جرًا إلى الاقتناع برأي المحاور، وإذا اقتنع الغير بهذا الرأي كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به ردّه على قائله" (عبدالرحمن، 2014، 38).

وهذا لا يعني أن الخطاب الذي يتّكل على أساليب الحجاج، وأدوات الاستدلال في منظومة لغويّة معينة لا يتّسم بسمات جمالية إمتاعيّة بل "قد تزدوج أساليب "الاقتناع" بأساليب "الإمتاع" فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه؛ لما يهبها هذا الإمتاع من قوّة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنه يراها رأي العين." (عبد الرحمن، 2014، 38). "ولا بدّ حجاجيًا من مراعاة المقام أو مقتضى الحال، ولا بد كذلك من تكييف الخطاب مع مقامات المخاطبين والإحاطة بمجموع المعارف الخاصة بموضوع المحاجّة المتعاقد عليها ضمنيًا أو ما يسمّى بقاعدة الحجج المشتركة التي تجمع المرسل الخطيب، والسّامع المفترض، مع تغيير موجّهات الخطاب الحجاجي بتغير أنماط مخاطبيه. (الدّهري، 2010، 38–39). والخطاب الحجاجيّ مشروط بمراعاة انسجام بنيته الحجاجيّة واتساقها، وكذا اختيار الحجج وألفاظها المؤثرة في فاعلية الإقناع فكل قول منجز يسعى إلى تحقيق فاعليته التأثيرية ضمن سياق معين ومقام معين، وهما البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجيّة. (عرابي، 2008، 21، 24).

وخطاب ابن المقفع متعدّد في استراتيجيّته الحجاجيّة التي اختلفت في درجة حضورها، وكثافة الاتّكاء عليها في حمل رؤيته للقيم، وما يجب أن تكون عليه، وقد رصدت الدراسة ثلاثة ألوان حجاجيّة كانت الأكثر دورانًا في خطابه بحيث شكّلت في مدونته ظواهر أسلوبيّة وتركيبيّة لافتة. وهذه الدراسة سترود في غايات توظيف هذه الأساليب. "وتوظيف الظاهرة اللغوية لا يعني مجرد استعمالها في الكلام، أو كيفيّة إجرائها فيه، ومختلف الوضعيّات التي تكون لها في نطاقه لتبليغ خبر، وإنّما يعني التوظيف: استعمال جملة الوسائل اللغويّة استعمالاً خاصًا لغايات أدبية جمالية، أو تأثيرية يتجاوز مستوى الإخبار والتوصيل." (الطرابلسي، 1997، 130). و(عبيد 2015، 9)، وقد صنعت هذه الأساليب ظاهرة تكرارية هيمنت على الخطاب، وليس اختيارنا لهذه الأساليب كونها ذات سيطرة وحضور حسب، بل لأنّها أساليب حجاجيّة تأثيريّة نبّه إليها المشتغلون في الحجاج وهي: أسلوب الشرط، وأسلوب التفضيل، وأسلوب المقابلة.

وعليه فالبحث سيتوجّه في مسارات وأنساق حجاجيّة ثلاثة:

أولاً: النسق الحجاجيّ الشرطيّ: وفيه درس لأشكال إتيان الشرط في الخطاب على أصل التركيب والانزياح عنه، والطاقة الحجاجيّة الكامنة فيها فضلاً عن تآزر الحجاج الشرطي مع آليات أخر عزّزت من فعل اللوحات الشرطية الإقناعية التي كان توظيفها في عديد الصور على هيئة مناويل تركيبيّة شرطية متكررة ذات تراكم دلالي، تتساوق، وترتبط بفعل روابط حجاجيّة متنوعة؛ فبرزت اللوحات مترابطة متسقة تفتح للمتلقي آفاقًا واسعة من الرؤية والتفكير في منظومته القيمية.

ثانيًا النسق الحجاجيّ التفضيليّ: وفيه استثمار للصيغة الصرفيّة "أفعل" التفضيليّة بوصفها تقنية حجاجيّة توظّف لإقناع الغير واستجلاب موافقته ورضاه، ومن ثمّ السّير به نحو التغيير، وسوف ترصد الدراسة مختلف البنى التركيبيّة التي احتضنت "أفعل" التفضيليّة. وإيقاعاتها الصوتيّة تبعًا لكلّ تركيب.

ثالثًا: النسق الحجاجيّ التقابليّ: وفيه استجلاء لدوره في تدعيم خطاب ابن المقفع الحجاجيّ؛ وذلك برسمه لوحات نصيّة تهيمن عليها صور الثنائيات الضدّية القيميّة محققّة فاعلية تأثيرية وإيقاعًا تقابليًا يشدّ المتلقي إلى حمولاته الدلالية. كلّ ذلك في إطار من الاقتصاد اللغويّ اللفظيّ، وامتداد دلاليّ ذي آفاق رحبة منفتحة غير منغلقة.

النّسق الحجاجيّ الشّرطـيّ

اتكأ ابن المقفع على تقنية أسلوبية حملت في تنوّع لوحاتها مقصدية حجاجية غايتها حمل المتلقي على التغيير، وإعادة التفكير قبل أن يسلك أي مسار في تعامله مع الأنا والآخر. وتمثلت هذه التقنية في أسلوب الشرط الذي كان كثير الدوران في مدونته النثرية الأدب الصغير والأدب الكبير إذ استثمر مكنونات أسلوب الشرط الدلالية، وعمد إلى رسم لوحاتها بأشكال متعددة ليضمن قدرًا أعلى من التزيين والإغراء، ومن التحذير والوعد والوعيد من طاقة الإقناع وتأثيره. (استيتية، 2000، 72-85).

وتناولُ الجملة الشرطية من حيث وظيفتها الحجاجيّة يبيّن قدرتها على توفير علاقة اقتضاء شكلي بين السّبب والنتيجة؛ سبب يمثّله فعل الشرط، ونتيجة يمثّلها الجواب في مستوى أول، وعلى توفير علاقة اقتضاء أيضًا بين حجّة يمثّلها الشرط والجواب معًا، ونتيجة يصرح بها المتكلم تارة، ويخفيها طورًا في مستوى ثانٍ". (الدريدي، 2008، 336).

وتعد علاقة الاقتضاء ذات طاقة حجاجيّة عالية، فهي ككلّ علاقة حجاجيّة تصل الحجّة بالنتيجة المرصودة للخطاب، ولكنها تتميز عن بقية العلاقات بجعلها الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاء، والعكس صحيح بحيث تغدو العلاقة ضربًا من التلازم بين الحجة والنتيجة، وهو ما لا توفره سائر العلاقات. (الدريدي، 2008، 353)، (كروم، 2010، 139/1). وأما عن مأتى الاقتضاء في الشرط فإنه آت من قيام الجملة الشرطية – في الآن ذاته– على التلازم والتعلق السّببي بين الشرط والجواب فالشرط يستوجب ضرورة الجواب، وهو في الآن ذاته سبب لهذا الجواب أي أنه سبب لنتيجة هي الجواب. (الدريدي، 2008، 335).

"وصاحب الخطاب الحجاجي مع هذا الصنف من العلاقات يعمد إلى الاجتهاد كل الاجتهاد في إضفاء نوع من الحتمية على العلاقة بين الحجة والنتيجة فيحكم الترابط بينها" (الدريدي، 2008، 335). "وأقدر الروابط الحجاجيّة على توفير هذا النوع من الصلات – دون شك – أدوات الشرط المختلفة". (الدريدي، 2008، 335). ويعد الشرط أحد الطرق الحجاجيّة لغويًا، وأهمّ وسائل الإقناع التي توظف في اللغة عمومًا. فهو مبدأ من مبادئ التعليق كونه نحويًا يعني تعليق أمر بأمر، وربط تحقق قضية بقضية أخرى، وهو الشيء الذي يكسبه تلك القوة القلبية العاملة على تفعيل مهمة الإقناع وتقويتها.

ومن حجاجيّة الجملة الشرطية التي أشّر إليها باحثون اشتغلوا في الحجاج تنظيرًا وتطبيقًا ننطلق إلى بيان وسائل ابن المقفع في تعزيز حجاجيّة هذا الأسلوب بطرائق عدة، ومن أوّلها تكراره لعبارة معنية بنيت وفقها جملة جواب الشرط بحيث شكّلت لازمة متكررة في عدة لوحات نصيّة.

ومن ذلك أنّه كان يأتي بالشرط بعد أن يوجّه المتلقي إلى إتيان فعل معين متوسلاً الجملة اسميّة أو شرطيّة ويتبعها بشرط مزين بـ قوله: "فهو أفضل" يمثل جواب الشرط، وبه تختم الوحدة النصيّة، ولا يخفى ما لأفعل التفضيل من أثر نفسي عند المتلقي كونها توازن بين الأفعال، وترجح أحدها على الآخر ما يعطي الشرط مزيدًا من الأثر أولاً بالشرط وثانيًا بالتفضيل ومن ذلك قوله:

"**وأصل الأمر في الكلام أن تسلم من السّقط بالتحفظ، ثم إن قدرت على بارع الصواب فهو أفضل**". (ابن المقفع، 1987، 53).

وقوله: "**وأصل الأمر في الجود ألاّ تضن بالحقوق على أهلها، ثم إنْ قدرت أن تزيد ذا الحق على حقّه، وتطول على من لا حق له فافعل فهو أفضل**". (ابن المقفع، 1987، 53).

وقوله: "**... ومن أحرز الأصول اكتفى بها عن الفصول، وإنْ أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهو أفضل**". (ابن المقفع، 1987، 52).

وقوله: "فأصل الأمر في الدين أن تعتقد الإيمان على الصّواب، وتجتنب الكبائر، وتؤدي الفريضة... ثم إنْ قدرت على أن تجاوز ذلك إلى التفقّه في الدين والعبادة فهو أفضل". (ابن المقفع، 1987، 53).

وقوله: "وأصل الأمر في صلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خفافًا، ثم إن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضارّه والانتفاع بذلك كلّه فهو أفضل". (ابن المقفع، 1987، 53).

وقوله: "وأصل الأمر في الشجاعة ألاّ تحدّث نفسك بالإدبار، وأصحابك مقبلون على عدوّهم، ثم إن قدرت على أن تكون أوّل حامل، وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو أفضل". (ابن المقفع، 1987، 53).

إنّ في انتقاء البنية الصرفّة (أفضل) لتختم التركيب الشرطي بعدا حجاجيّا تداوليّا؛ فالمنشئ قادر على اختيار مفردات أخر من

ذات الحقل الدلالي الذي يمدح الفعل ويحث عليه مثل: خيار سليم أو فعل جيد أو فعل صواب لكنّه اختار هذه المفردة لقدرتها على التأثير في المقال الشرطي التلازمي الذي يحتضنها، وفي المقام الذي تلقى فيه. وقد نبّه الباحث صولة إلى فعل الاختيارات اللغوية في الخطاب فقال: "كما أنّ الخطاب إذ يعمد إلى اختيار كلمة دون أخرى مما يرادفها أو يظن أنه يرادفها إنّما يرمي إلى مزيد من التأثير في ذهن المتلقين على أساس أن الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم، وأمضى أثرًا فيه بما لها من زوائد معنوية جاءتها من اللغة، أو من الاستعمال، أو منهما معًا". (صولة، 2001، 73–74). وخصائص الكلمة تمكّنها من إقصاء غيرها والحلول محلها ليكون الخطاب "أوغل في الحجاج وأذهب في الإقناع". (صولة، 2001، 74). والدال (أفضل) من الدوال التي حظيت بتوظيف لافت في خطاب ابن المقفع مستثمرًا ما لها في ذهن المتلقي من قبول وإيجابية دلالية. وانتقاء المفردات واختيارها منوط بقانون "الأنفع، الذي وضعه منظرو البلاغة الجديدة من باحثي الغرب أمثال (بيرلمان وزميله تيتيكا) وهو قانون يرى أنّ بين وحدات اللغة تفاوتًا في درجة التعبير حجاجيًا عن فكرة ما بحيث يعتمد التعبير بالدال (أ) دون الدال (ب) تطبيقًا لقانون الأنفع حجاجيًا. وشرط (بيرلمان) أن نعرف ما هي الكلمات أو العبارات التي كان يمكن للمتكلم أن يستخدمها ولكن فضّل عليها اللفظ الذي استخدمه في خطابه سواء كان اللفظ المستخدم محمّلاً بموقف ما أو لفظًا محايدًا." (صولة، 2010، 34–35)، وتستمدّ الكلمة سلطتها وفعلها الحجاجيّ من داخل دائرة الفعل الاجتماعي والسياسي والتشريعي علاوة على ما للكلمة من منطق خاص يمنحها هو الآخر سلطة وفعلاً، وكذلك فإنّ للمجال الذي تتنزل داخله العبارة بنية ونظامًا يؤثران في الخطاب سلبًا أو إيجابًا. (الشبعان، 2010، 563/1).

وعزّز خطابُ ابن المقفع أسلوبَ الشرط بتكرار لازمة أخرى احتضنتها جملة جواب الشرط هي "فافعل" فقال:

"لا تخبرنَّ الوالي أنّ لك عليه حقًّا، وإنّك تعتدّ عليه ببلاء، وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك فافعل، وليكن ما يذكره به من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد، وألا يزال ينظر منك إلى آخر يذكره أولَ بلائك". (ابن المقفع، 1987، 66).

وقال: **"اعلم أنّ لسانك أداة مصلتةَ، يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك، فكل غالب عليه مستمتع به وصارفه في محبته، فإذا غلب عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيء من أشباه ما سمّيت لك فهو لعدوك، فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، ولا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوّك فافعل".** (ابن المقفع، 1987، 83). وقال: **"...إن استطعت أن يجعل صحبتك لمن قد عرفك بصالح مروءتك وصحة دينك وسلامة أمورك قبل ولايته فافعل".** (ابن المقفع، 1987، 64).

وقال:**"... إن استطعت ألا تصحب مَن صحبت من الولاة الا على شعبة من قرابة أو مودة فافعل".** (ابن المقفع، 1987، 64).

وقال:**"... إن استطعت ألا تخبر أخاك عن ذات نفسك بشيء إلا وأنت محتجن عنه بعض ذلك التماسًا لفضل الفعل على القول، واستعدادًا لتقصيرِ فعل إنْ قَصّرَ فافعل".** (ابن المقفع، 1987، 93).

وقال:**"... فإن استعطت ألا يكون عطاؤك جورًا، ولا بيانك هذرًا ولا علمك وبالاً، فافعل".** (ابن المقفع، 1987، 94).

وقال:**"إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعلْ..."** (ابن المقفع، 1987، 92–93).

وقال:**"اعلم أنّ لسانك أداة مصلتة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك... فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، ولا يستولي عليه، أو يشاركك فيه عدوك، فافعل".** (ابن المقفع، 1987، 83).

وقال:**"... بل إن استطعت أن تعرّف صاحبك أنّك تنحله صوابَ رأيك، فضلاً عن أن تدّعيَ صوابَه، وتسندَ ذلك إليه وتريّنه فافعل؛ فإن الذي أنت آخذ بذلك أكثر مما أنت معطٍ بأضعاف".** (ابن المقفع، 1987، 69).

وقال: **"اعلم أن مِن تنكب الأمور ما يسمّى حذرًا. ومنه ما يسمّى خورًا. فإن استطعت أن يكون جبنك من الأمر قبل مواقعتك إيّاه فافعل، فإنّ هذا الحذر، ولا تنغمس فيه ثم تتهيبه، فإنّ هذا هو الخور، فإنّ الحكيم لا يخوض نهرًا حتى يعلم مقدار غوره".** (ابن المقفع، 1987، 102).

والأمر فيه دعوة مباشرة لإنجاز حمولات جمل فعل الشرط الدلالية، وفيه من الإيجاز المفيد ما يرفد طاقة الشرط الحجاجيّة إذ هناك نوع من التوسع في جملة فعل الشرط، وإيجاز في جملة جواب الشرط يبقي المتلقي على صلة بمفردات جمل فعل الشرط ومتطلباتها.

وفي تكرار جواب الشرط "فافعلْ" حذف للمفعول به، وترك تكملته للمتلقي بناء على معطيات جملة فعل الشرط. والحذف عملية تخييليّة في أصلها، ويستمدّ أهميته من حيث أنه لا يورد المنتظرَ من الألفاظ؛ ما يفجّر في ذهن المتلقي شحنةً فكريةً توقظ ذهنه، وتحفّزه على أن يتخيل قصديّة الخطاب. وهذا التخيل يفضي إلى إحداث نوع من التفاعل بين الخطاب والمتلقين، وهذه المشاركة المطلوبة من المتلقي في تقدير ما حذف تجعله يبدو وكأن المنشئ لم يحمله على النتيجة حملاً وإنّما قد وصل إليها بمحض إرادته،

ومن تلقاء نفسه، وهذا حقيق بأن يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا". (بديدة، 2009، 26-27)، ويبقي المتلقي مشغولاً بحمولات "إن استعطت" الدلالية ويقابلها "إن لم تستطع"، وحمولات "فافعل" الدلالية، ويقابلها" إن لم تفعل" وهذا الانشغال يصدر عن حوار بين الخطاب والمتلقي يثري العملية التواصلية، ويعمق فعلها وأثرها في عقل المتلقي ونفسه. ويتوافق الحذف مع فكرة الاقتصاد اللغويّ الذي تتمّ به النصوص البليغة مثل نصوص ابن المقفع، والحذف كذلك يبعد الملل عن أن يتسلل إلى القارئ بسبب تكرار ما لا فائدة من وجوده لفظًا "فالكاتب يقوم بالحذف عندما يدرك أنّ قارئه سيعي المحذوف، ولن تعوقه عملية الحذف عن القراءة. إنه يقوم بالحذف من أجل إضفاء عنصر السرعة على القراءة بحيث يوجد المحذوف مفهوميًا في الكلام، وإن كان غير موجود لفظًا، فيسهم الحضور المفهومي في استمراره عنصرًا فاعلاً دلاليًا". (فرج، 2009، 89).

ومكّن خطاب ابن المقفع أسلوب الشرط وقوّى من أثره في نفس المتلقي بارتباطه بأسلوب آخر وهو أسلوب التعليل، أي تعليل الدعوة إلى التزام سلوك ما أو تجنبه، والتعليل نوع من الحجج المؤسسة على بنية الواقع المستمدة من التجارب والوقائع والأحداث المتعالقة بين الأشياء المكونة للعالم؛ "فالمتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج إنّما يذهب في الواقع إلى أنّ الأطروحة التي يعرضها تبدو أكثر إقناعًا كلما اعتمدت أكثر على تفسير الوقائع والأحداث، وأنّ الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغرست مراجعه في الواقع، وتنزلت عناصره فيما حدث ويحدث." (الدريدي، 2008، 214). ويمثل بيرلمان لهذه الحجج "بوجوه الاتصال التتابعي بوصفها تضمن مظاهر الاتصال السّببي كالربط بين بعض الأحداث المتتابعة بواسطة علاقات سببيّة، أو استخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدث أدى إليها، أو التكهن بما سيقع لو أن الحدث المسبّب قد حدث." (طلبة، 2010، 130). وكان ابن المقفع يلجأ إلى توظيف أكثر من جملة شرطية تعليلية لمزيد من الانفتاح والتوسّع في القول؛ مما يفضي إلى تمكين فعل الحجاج وترسيخه فقال: **"واعلم أنّ انقباضك عن الناس يكسبك العداوة، وأنّ انبساطك إليهم يكسبك صديق السوء، وسوء الأصدقاء أضرّ من بغض الأعداء؛ فإنّك إنْ واصلت صديق السوء أعتيك جرائره، وإن قطعته شانك اسم القطيعة وألزمك ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك..."**. (ابن المقفع، 1987، 82).

وقال: **"لا يلومنَّ الوالي عن الزلة من ليس بمتّهم عنده في الحرص على رضاه إلا لومَ أدب وتقويم، ولا يعدلنَّ بالمجتهد في رضاه البصير بما يأتي أحدًا؛ فإنّهما إذا اجتمعا في الوزير والصاحب نام الوالي واستراح، وجلبت إليه حاجاته وإنْ هدأ عنها، وعمل له فيما يهمه وإن غفل"**. (ابن المقفع، 1987، 62).

وقال: **"إياك أن يقع في قلبك تعتّب على الوالي أو استزراء له؛ فإنّه إنْ وقع في قلبك بدا في وجهك إن كنت حليمًا، وبدا على لسانك إن كنت سفيهًا"**. (ابن المقفع، 1987، 67).

وقال: **"ثم عليهم، بعد ذلك، أن لا يتركوا محسنًا بغير جزاء، ولا يقروا مسيئًا، ولا عاجزًا على الإساءة والعجز؛ فإنّهم إن تركوا ذلك تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل"**. (ابن المقفع، 1987، 22).

ويجمع هذه الوحدات النصيّة توظيفها الترتيب الشرطي معللاّ حمولاتها الدلاليّة، وتوجيهاتها المتلقي لاتباع سلوكات معينة في تعامله مع الآخر، وبالرغم من تعدّد طرائقها في بناء تراكيبها ما قبل التعليل إلا أنها تجتمع في كونها بنىً حجاجيّة إقناعيّة تشكل مهادًا للتعليل. وفي التعليل حجاج وفي مهاده حجاج آخر؛ ففي الوحدة النصيّة الأولى ابتداء بالفعل (اعلم) الذي تكثف حضوره على مستوى خطاب ابن المقفع، وهو دال حاجيّ إذا ما أخذنا بقانون "الأنفع الحجاجيّ" ومن ثمّ أنذ التوكيد بـ "إنّ" مرتين واستثمار التضّادّ في قوله "انقباض/ انبساط) و(الأصدقاء/ الأعداء) وتكرارها، وأخيرًا "أفعل التفضيل" التي مازت بين ضرر الصديق السّيىء والعدو المبغوض، تقنيات شكلت سياسة الخطاب الحجاجي وتسللت بحمولاتها إلى ذهن المتلقي، وسحبته طوعًا تحت تأثيرها إلى الأخذ بها وتوجت ذلك بالتعليل الحجاجيّ موظفة علاقتين حجاجيتين العلاقة السببيّة والعلاقة الشرطية.

وفي الوحدة النصيّة الثانية نهي مؤكد بنون التوكيد الثقيلة يبث في التوجيه إيقاعًا تنبيهيًا يسلّط مزيدًا من الضوء على ما يقع النهي عليه، وأمّا اللوحة التي تعقبها فقد كان الافتتاح بالتحذير بـ "إياك"، وقد دُعّم التعليل الشرطي في كلتيهما بالانزياح الشرطي الذي جاء فيما عطف على جواب الشرط أو في جواء الشرط ذاته الذي بُني هو الآخر بناءً تلازميًا في حين كان اسم فعل الأمر "عليهم" عامل الجذب والتعزيز الخطابيّ في الوحدة النصيّة الأخيرة، وفي هذا دلالة على أنّ ابن المقفع لا ينفك موظفًا كلّ ما تسمح به مقامات القول ليحظى الخطاب بوقع حجاجيّ أكثر.

وقال: **"... وإنْ وجدتَ عنهم [الملوك] وعن صحبتهم غنى، فأغن عن ذلك نفسك واعتزله جَهدك؛ فإنّه من يأخذ عملهم بحقّه يحل بينه وبين لذة الدنيا، وعمل الآخرة، ومن لا يأخذ بحقّه يحتمل الفضيحة في الدنيا، والوزر في الآخرة"**. (ابن المقفع، 1987، 75).

وقال: "**إذا سأل الوالي غيرك فلا تكوننّ أنت المجيب... وإذا لم يقصد السائل في المسألة لرجل واحد وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادِرَنَّ بالجواب... فإنّ ذلك يجمع مع شين التكلف والخفة أنّك إذا سبقت القوم إلى الكلام صاروا لكلامك خصماء فتعقبوه بالغيب والطّعن، وإذا أنت لم تعجل بالجواب وخلّيته للقوم اعترضتَ أقاويلَهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك...**". (ابن المقفع، 1987، 70).

ينبعث من هاتين الوحدتين جوٌّ تلازمي ذو بنية شرطية يهيمن على مساراتها، ويجوس في ثنايا حمولاتها الدلالية، متدرجًا في نقل المتلقي من مطالب حريٍّ به الحرص على اتباعها في تعامله مع ذوي السلطة، ومن ثم يعزز حجاجه بالتعليل الذي ابتدئ بالتوكيد بـ "إنّ" ومن ثم بالشرط. وهكذا شرطٌ يسلم المتلقي إلى شرطٍ آخر ليوصله إلى قناعات مسوّغة معزّزة بأسبابها.

وهكذا بني الحجاج والإقناع في هذه الوحدات النصيّة على التتابع الثابت للأحداث في إحالة على رابط سببي يصل بينها، ويعمل هذا الأسلوب على تبرير الأمر بسلوك ما أو النهي عنه، وتدعيم هذا الأمر والنهي، ويرتبط هذا الأسلوب بما يسمى "الحجة البراغماتية" وهي التي تمكّن من تقويم مراد أو حدث أو سلوك أو رأي باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية. وتزداد قوة التعليل نجاعة وأثرًا حين تكون نتائج الحدث المنهيّ عنه أو المطلوب جلية في سلبياتها وإيجابياتها، وشاملة في فعلها عميقة في أبعادها، وهذا يجعل الأحداث مقومة في نتائجها ما يزيد في توجيه الفعل، والحمل على الإذعان به من قبل المتلقي". (الدريدي، 2008، 216–217). وقد احتضنت جملةُ التعليل التي استهلت بالتوكيد بـ "إنّ" الشرطَ الذي جاء على هيئة خبر إنّ مما عزّز التوكيد والتعليل والشرط، وتآزرت كلّها في دفع الفعل الحجاجيّ وتقويته.

وعززت الجملة الشرطية بالشرط نفسه وذلك حين بنيت جملة جواب الشرط من تركيب شرطي آخر فاستحوذت على المتلقي دائرة شرطية مترابطة متصلة متسقة يؤكد بعضها بعضًا، ومنحت المتلقي فرصة لمزيد من الرؤية الوضوح بفعل تعدّد اللوحات وتنوع حمولاتها الدلالية فقال: "**وإذا نظرت في حالة مَن ترتئيه لإخائك؛ فإن كان من أخوان الدين فليكن فقيهًا غير مراء ولا حريص، وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حرًا ليس بجاهل ولا كذّاب ولا شرير ولا مشنوع**". (ابن المقفع، 1987، 82).

ففي هذا المثال ابتدأ الشرط بـ "إذا" وجاء جوابه بـ "إنْ" التي تبعها شرط معطوف عليها، ولم يقف تدعيم الشرط عند ذلك بل إن الوصف الذي اتصل بالجواب أفضى إلى امتداد الرؤية عند المتلقي بتحديد مواصفات مَن يختار؛ فليس كل فقيه صاحب موقف، وليس كلّ مَن كان همّه الدنيا بإنسان إيجابي أو سلبي. وهذه الأوصاف والنعوت تلعب في الوحدة النّصيّة دورًا إقناعيًا كونها تعد بالإغراء والتزيين، أو تمارس فعل التقبيح والتحذير إذ لم يكتفِ الخطاب بدالّي (فقيهًا/ حرًا) بل أتبعهما بوصف أو أوصاف سلبيّة يفترض ألاّ يتصف بها. (بلنجر، 2010، 417).

وقال: "**فإن كنتَ حافِظًا إن بَلَوْكَ، جَلْدًا إن قَرَبوكَ، أمينًا إن ائتمنوكَ: تُعلّمُهُم وأنتَ تُريهِم أنَّكَ تتعلّمُ، وتُؤدّبهمْ وكأنّهمْ يُدّبونَكَ: تشكُرُهُمْ ولا تُكَلّفُهُمْ الشّكَرَ، بصيرًا بأهوائِهم مُؤثِرًا لمنافِعِهِم، ذليلاً إن ظلموكَ، راضِيًا إن أسخطوكَ، وإلا فالبُعدَ منهُم كلّ البُعدِ، والحذرَ مِنهُم كلّ الحذرِ**". (ابن المقفع، 1987، 75، 76).

وهذه الوحدة النصيّة مثال جليّ على تشابك التراكيب الشرطية وتداخلها، فجملة فعل الشرط بالأداة (إنْ) هي جملة شرطية مؤلفة من كان واسمها وخبرها والأصل أن يتوسط الشرط (إنْ بلوك) بين كان واسمها وخبرها هكذا: كنت إنْ بلوك حافظًا، وهكذا في بقية أخبار كنت، وبعد أن أثبت جملة جواب الشرط ومعطوفاتها عاد إلى ما ابتدأ به مع حذف كان واسمها في قوله: بصيرًا وذليلاً وراضيًا. وهذا التراكم الشرطي بما فيه من انزياح قد يتسبب في إرباك المتلقي، ويعوق نفاذ الخطاب ووصول ما يطرحه، ويشغله بملاحقة التراكيب، وعدم العناية بمضامينها وهو الغاية من الوحدة النصيّة.

وعزّز ابن المقفع الطاقة الحجاجيّة للبنية الشرطية عن طريق تكرارها في وحدات نصيّة شدّ عراها، وشكل إطارًا لدلالاتها الشرط المكرر في حين أن تغايرت الحمولات الدلالية لكل بنية شرطية ما أفضى إلى تراكم دلالي يفتح أمام المتلقي أفقًا معنويًا رحبًا، وقد قام التكرار في أسلوب الشرط على معاودة مناويل تركيبيّة اتخذت أشكالاً عدة، واحتضنت آليات حجاجيّة داخل بنيتها التركيبيّة، وقد أفضى هذا اللون التكراري إلى جوّ إيقاعي "متصل أشدّ الاتصال بالتوقع والانتظار، مما يجعل المتلقي في حالة دائمة من اليقظة والانتباه، ولكنّ الانتظار لا يحصل والتنبيه لا يتحقق إلا إذا تكرر التركيب نفسه ثلاث مرات". (الحلواني، 2007، 172). فقال:

"**وليس من خلّة هي للغنيّ مدح إلا هي للفقير عيب؛ فإن كان شجاعًا سُمّي أهوجًا،**

وإن كان جوادًا سُمّي مفسدًا،

وإن كـان حـليـمًـا سُـــمـي ضـــعـيـفًـا،

وإن كـــان وقـــورًا سُـــمّـــي بـلـيـدًا،

وإن كـــان لســـنًـــا سُـــمّـــي مـهـذارًا،

وإن كـــان صـــمـوتًـا سُـــمّـي عـيـيًـا"

(ابن المقفع، 1987، 44).

وفي هذه اللوحة النصيّة صدّر ابن المقفع خطابه بالحصر مؤكداً مقولته في تعامل المجتمع مع قيم إيجابية يمدح بها الغني ويذم بها الفقير حين يؤولها الناس إلى قيم سلبية خاطئة، وفي الحصر حجب ونفي لأي احتمال آخر، ومما رفع من حمولة الحصر الإقناعية الحجاجيّة التضّادّ بين دالي (الغنيّ/ الفقير) ودالي (مدح/ عيب). فضلاً عن التقديم والتأخير في عبارتي: "هي للغنيّ مدح" و"هي للفقير عيب" فالأصل تأخر شبه الجملة كونها من متعلقات خبر هي (مدح وعيب) وفي هذا التقديم تأكيد على فكرة المقابلة بين الغني والفقير، وتوجيه اهتمام المتلقي إليهما بوصفهما بؤرتي الحصر الذي فيه إجمال وإيجاز أدرك ابن المقفع أنّه سيثير لدى المتلقي أسئلة وتشويقاً للمزيد من الإيضاح فكان التفصيل الذي يشرح ويؤكد ويزيد من حجاجيّة الوحدة النصيّة، ومن وقع أثرها في السّامع.

وقد سعى الخطاب إلى توظيف آليات حجاجيّة في تفصيل ما أجمله فبناه على هيئة تراكيب شرطية متكررة ذات طاقة حجاجيّة عالية؛ إذ تجلّى فيها تجميع إيقاعيّ هيمن على نهايات العبارات الشرطية المكررة بشقيها جملة جواب الشرط، وجملة فعل الشرط، وتمثل هذا الإيقاع بتنوين النصب بالرغم من اختلاف الوظيفة النحوية لهذه النهايات. ومما زاد من أثرها الإقناعي، وزاد التراكيب الشرطية سبكاً واتساقاً، وأقام رابطاً فيما بينها بنيتها الصرفية الموحدة على هيئة الصفة المشبهة؛ فما كان في جملة فعل الشرط صفة إيجابية دائمة أو شبه دائمة منغرسة في نفس الفقير بالرغم من قسوة الفقر وشدته حوّلها الناس في نظرتهم القاصرة غير العادلة إلى صفات مشبهة سلبيّة في جملة جواب الشرط تحقيقاً للمفارقة الدلالية بين طرفي التركيب الشرطي المكرر البنية، والمختلف دلالة في كل معاودة فبدا أمامنا تراكم دلالي مؤثر موجز معبّر عن غايته وهدفه غير مغلق، وغير منته إذا يفتح المجال واسعاً أمام المتلقي ليستكمل المشهد بمزيد من المفارقات بين قيم الفقراء، وتأويل المجتمع لها بسلبها إيجابيتها، وفعلها الحسن لذلك حذف الخطاب كلّ ما يمكن أن يؤثر في بروز بؤرتي فعل الشرط وجوابه؛ فحذف اسم كان من الأول، وحذف الفاعل ونائبه من الثاني.

وقد بدا لافتاً في التركيب الشرطي المكرر معاودة الفعل المبني للمجهول "سُمّي" هذا الدال الذي يعد أساساً للوحدة النصيّة وتراكيبها، وعُزز أثره ببنائه للمجهول إذ حذف الفاعل ونائبه لإبراز الفعل الذي يدل على إطلاق اسم يحمل الديمومة على الفقير أو لقب يلازمه طوال حياته. فضلاً عن إبراز المفعول به الثاني ليقابل به خبر كان في جملة فعل الشرط. وهكذا تضافرت حمولة تكرار الدال "سمّي" الحجاجيّة باجتماعه بباقي المكونات والأساليب الحجاجيّة الأخر.

وتأسيسًا على حرص ابن المقفع توجيهَ خطابه إلى متلقٍ عاقل يدرك قيمة العلم والمعرفة فقد حذّره من الإنسان الجاهل موظفًا الشرط عاطفًا جملاً شرطية متسقة البنية في فعل الشرط وجوابه إذ بنيا وفق الفعل الماضي فقال: **"لا يؤمنِنّك شرَّ الجاهل قرابةٌ ولا جوارٌ ولا إلفٌ، فإنّ أخوفَ ما يكون الإنسان لحريق النار أقربُ ما يكون منها، وكذلك الجاهل:**

إن جـــــاورك أنصـــــــبـــــك،

وإن نـــاســـــبـــك جـــنـــى عـــلـــيـــك،

وإنْ ألـفـك حـمـل عـلـيـك مـا لا تـطـيـق،

وإنْ عـــاشـــــرك آذاك وأخـــافـــك".

(ابن المقفع، 1987، 94).

وأتاح الشرط المكرر في هذه الوحدة النصيّة توسعًا في صورة الإنسان الجاهل من وجهة نظر الكاتب، وفي هذا الأسلوب تمكين

للنهي المعزّز بالتوكيد في بداية الحديث (لا يؤمننّك)، وفيه كذلك شرح وافٍ للتمثيل بالنار والاقتراب منها، وقد تساندت هذه العناصر، وقوىّ كلّ منها الآخر واستدعاه لنحظى بلوحة متّصلة متناغمة يقبل عليها المتلقي متابعاً وملاحقاً حجج النص ونتائجها. وقد تدرج الكاتب في بناء عناصرها، ونوّع في هذا البناء موظفًا عدداً من الآليات الحجاجيّة التي تسلم كل واحدة منها إلى الأخرى؛ فتزيد من طاقتها الإقناعية لتصل بالمتلقي إلى ذروة الإذعان؛ لذلك كانت الافتتاحية بالنهي الذي ينبّه ذهن المتلقي ويحفزه، ثم يزداد هذا التحفيز بصوت نون التوكيد الثقيلة الواقعة على الفعل المضارع، واستمرت الطاقة الحجاجيّة بالتكثيف بواسطة الانزياح التركيبي إذ تقدم المفعول به "شرَّ الجاهل" على الفاعل ومعطوفاته دون مسوغ إلزامي معمقًا فعل النهي والتوكيد، ومقدمًا بؤرة النهي الرئيسة وهي التحذير من "شرَّ الجاهل" لذلك قدّمه ليجاور النّهي، ولو أخّر لضعفت طاقة العبارة الحجاجيّة بسبب تعدّد الفاعل عن طريق العطف.

وكان يمكن للخطاب الوقوف عند هذا الحدّ الحجاجيّ إلا أنّه ارتقى إلى مستوى حجاجيّ آخر ينقل المتلقي إلى مقاربة تشبيهيّة تمثيليّة بين "شرَّ الجاهل" إذا اقتربنا منه والنار التي تزداد خطراً وضرراً كلما اقتربنا منها أكثر. والتمثيل خطاب للوجدان فهو تصوير للمعنى، ونقل له من العقل إلى الحسّ، فهو بمثابة المحرك للنفس، والمتمكن من القلب كونه ينتصب دليلاً على المعنى وشاهداً عليه؛ إنّه يشير إلى المعنى في الخارج بعد قوله ليشاهد ويستوثق منه فيؤدي إلى نفي الرّيب والشّك عن المخاطب، ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف. فهو حجّة على صحة المعنى، فضلاً عن قدرته على تحريك النفوس، وتحديد وجهتها. وعليه فالتمثيل يحمل وظيفة الحجاج والاستدلال كونه يقوم على إتيان معنى ثم تأكيده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على حجته لإفهام المتلقي، وتقريب الصورة إليه وصولاً إلى إقناعه ودفعه نحو إنجاز الفعل. (جغام، 2014، 6)، (سلمان، 2010، 263-265).

وحين اطمأن الخطاب إلى استعداد المتلقي لقبول ما يحثّه إليه، ويوجهه نحوه توجه صوب إحداث مزيد من الإذعان والاقتناع مفصلاً مغبات الاقتراب من الجاهل فاستثمر التركيب الشرطي المكرر بحمولات دلاليّة مختلفة لكنها تصبّ في إطار دلاليّ عام، وقد فصّل فعل الشرط مظاهر الاقتراب وألوانه وفي الجواب فصّل ما يستلزمه هذا الاقتراب من سوء العاقبة التي تقع على المتلقي وحده، ولم يكتف الخطاب بالمعاودة الشرطيّة بل عزّز الشرط بمعاودة معجمية تمثلت في الفعل الماضي في شقي الشرط ما أضفى على الوحدة التكراريّة سبكًا وإيقاعاً خاصاً. وقد حضر ضمير المخاطب (المفعول به) وغُيّب الفاعل الذي يعود على الجاهل؛ لكنّ فعله كان حاضراً في فعل الشرط وجوابه، وهذا ما أتاح مزيداً من تسليط الضوء على الفعل ونتائجه وهما بؤرتا التكرار، وبدا المتلقي المحذّر وكأنّه لا يملك مع الجاهل قراراً ولا سلطة فالأفعال كلها تعود إلى الجاهل، والمتلقي العاقل يحصد سوء فعله حسبُ. وهكذا قامت الوحدة النصيّة الحجاجيّة على مبدأ البرهنة والاستدلال، ترابطت فيها العناصر وفق نسق تفاعلي، واستهدفت غاية مشتركة رتبت عناصرها اللغويّة ترتيبًا عقليًا يستجيب لنيّة الإقناع. (عرابي، 2008، 17).

واستخدم ابن المقفع عددًا من البنى التركيبية المكررة في تحذيره الحازم من العدو فقال: "**الحازم لا يأمن عدوّه على حال:**

إنْ كان بعيدًا لم يأمن مغاورته،

وإنْ كان قريبًا لم يأمن مواثبته،

وإنْ كان منكشفًا لم يأمن استطراده وكمينه".

(ابن المقفع، 1987، 41).

وقامت البنى الشرطية في الوحدة النصيّة بدور المفسّر والمفكك للملفوظ الذي سبقها مبنيًا من تركيب اسمي فيه دلالة الثبات على عدم الأمان من العدو؛ مما وسّع من أفق الخطاب الأخلاقي أمام المتلقي ليكون أحرص، وأكثر وعيًا ليتحمل مغبة فعله، وكأن ابن المقفع يقول لمتلقيه: ها أنا جلّيت لك ما نهيتك عنه من جوانبه المختلفة فإذا وقعت في فخّ سوء الاختيار فأنت الملوم وحدَك.

وقد رافقت الوحدة النصيّة الشرطيّة عناصر سبك تضفي عليها صفة الاستمرارية (فرج، 2009، 81) والتنوع الدلالي الناتج عن تكرار جمل متتابعة معتمدة الوظيفة النحويّة المتكررة فيها، فضلاً عن حضور مجموعة من العناصر المعجمية المتتابعة عبر الوحدة النصيّة مثل: خبر كان المنصوب المبني من الصفات المشبهة في قوله: "بعيداً، قريباً، ومعاودة الفعل المنفي "لم يأمن" فضلاً عن دور الضمائر في الترابط والسبك النصّي الذي تنحصر أهميته في جعل الكلام مفيدًا، وعدم اللبس في أداء المقصود، وعدم الخلط بين عناصر الجملة، واستمرار النصّ وثباته، وذلك بعدم تشتت الدلالة الواردة في النصّ. (الفقي، 2000، 74)، وتحقّق هذه العناصر

في النصّ يمكّن من وصول حمولاته الدلالية إلى المتلقي، ويساعده على متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر الوحدات النصيّة، ويحمله على التصديق بفحواها، ويدفعه إلى الاقتناع بها والعمل بمقتضاها.

والتّكرار في مدونة ابن المقفع النثرية في الأدب الصغير والكبير ظاهرة أسلوبية "متأصلة في نسيج الخطاب وبناه. ولها دور في سبك الخطاب وتماسكه، ولها ارتباط عميق بمقاصد الخطاب، وتعدّ في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة من وسائل التأثير والإقناع بل قد تتجاوز هذا التأثير إلى الدفع نحو تنفيذ الفعل، وتغيير السلوك. وهي الغاية القصوى من الحجاج، وإن شئت فهي الرتبة العليا في السلم الحجاجي". (سليمان، 2010، 252، العبد، 2002). واستثمره الخطاب في بثّ المزيد من حجاجيّة أسلوب الشرط.

ولكي يضمن ابن المقفع مزيدًا من التأثير للجملة الشرطية، كان يعزز جواب الشرط بأساليب تمكّن منه وتقوّيه؛ فقد وظّف في جواب الشرط أسلوب النّهي المتّصل بنون التوكيد الثقيلة مستثمرًا جرسها وإيقاعها وتأكيدها حمولة الفعل الدلالية مما ضاعف في طاقة التأثير والإقناع التي يحملها الشرط مثل قوله:

"**إذا نزلت من ذي منزلة أو سلطان فلا ترينَّ أنّ سلطانه زادك له توقيرًا وإجلالاً من غير أن يزيدك ودًّا ولا نصحًا**". (ابن المقفع، 1987، 64).

وقال: "**وإذا أصبت الجاه والخاصة عند السلطان فلا يحدثنَّ لك ذلك تغيرًا على أحد من أهله وأعوانه...**". (ابن المقفع، 1987، 69).

وقال: "**إذا سأل الوالي غيرك فلا تكوننّ أنت المجيب عنه...**". (ابن المقفع، 1987، 70).

وقال: "**إذا أصبت عند السلطان لطف منزلة... فلا تطمحنّ كل الطّماح، ولا تزينّ لك نفسك...**". (ابن المقفع، 1987، 72).

وقال: "**وإن غُلبتَ على الكلام وقتًا فلا تغلبنَّ على السكوت**". (ابن المقفع، 1987، 93).

وقال: "**إذا كنت في جماعة قوم ابدًا فلا تعمّنّ جيلاً من الناس، أو أمة من الأمم بشتم ولا ذم...**". (ابن المقفع، 1987، 101).

وتم تدعيم أسلوب الشرط في هذه الملفوظات النّصيّة بواسطة استعمال ضمير المخاطب إذ يهدف المتكلم المحاجِج إلى التأثير في المتلقي باستعماله إذ يوحي بأنّ الحجاج قائم بين اثنين حاضرين ويدور الحجاج بينهما. وعليه فجملة جواب الشرط قد تضمنت غير مؤثر حجاجيّ مثل النهي، وضمير المخاطب، ونون التوكيد الثقيلة التي شكلت سياقات تنغيمية "تساهم في إظهار القيمة التعبيريّة لبعض أجزاء الكلام التي تلحق بها". (حاكم، 2015، 330).

الانزياح في التّركيب الشّرطيّ:

يقول عالم اللغة فندريس: "الحقيقة أنّه لا توجد لغة واحدة تسير في ترتيب الكلمات على حرية مطلقة، كما لا توجد لغة واحدة ترتيب الكلمات فيها جامد لا يتحرك". (فندريس، د.ت، 187). والترتيب الكلامي يفرضه المقصد الدلالي لدى المتكلم، ويكون متأسّسًا على دعامة لغوية وأخرى نفسية. والتقديم والتأخير أداة أسلوبية تداولية يتكئ عليها الخطاب قصد إظهار المعاني الدلالية بحسب ترتيبها في نفس المنشئ، وقصد شدّ انتباه المتلقي إلى العنصر المقدّم، والتأثير فيه بواسطة تحريك حسّه الفني وعواطفه وذهنه.

وقد استثمر ابن المقفع في خطابه ما تتيحه أساليب اللغة من خروج على معياريتها، وقفز على قوانينها بواسطة انزياح بنى من مكانها إلى آخر؛ لغايات تضمن وصول الرسالة وتأثيرها في المتلقي، ومن الجلي أن الجملة الشرطية تقوم على نظام يوضّحه الشكل الآتي: أداة الشرط ← جملة فعل الشرط ← جملة جواب الشرط.

وحين يجري فيها انزياح فهي تغدو على الشكل الآتي:

جواب الشرط ← أداة الشرط ← فعل الشرط.

أي أنّ المنشئ يضع أمام المتلقي النتيجة قبل المقدّمة ليرى نتائج الفعل قبل الفعل فيستعدّ للقيام به أو تركه وتغييره. فضلاً عمّا يثيره من تشوّق عنده لمعرفة ما الذي أخّر. وهذا التقديم والتأخير له مسوّغاته الدلالية والتركيبية كالمحافظة على الاتساق والانسجام بين عناصر الجملة كما سيظهر في النماذج المحللة، بل إن ابن المقفع كان يرسم لوحات شرطية يراوح في تركيبها بين الأصل في البنية، والانزياح عنها ضمن ظروف مقامية تستدعي الالتزام أو الانزياح فقال:

"**الرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال، كالأسد الذي يهاب وإن كان عقيرًا**". (ابن المقفع، 1987، 45). قدّم جواب الشرط " يهاب" على فعل الشرط (وإن كان عقيرًا)، ومردّ ذلك أن جواب الشرط جاء تشبيهًا لما قبله وهو: "الرجل ذو المروءة" وجرى الانزياح لتجاورَ الصورةُ الجزءَ الذي تصوره، وليكون الكلام متصلاً متسقًا لا تنفصل عراه ولو جاءت الجملة الشرطية على أصلها لانفصلت عرى الكلام ولبهت الشرط والتشبيه معًا.

وقال مكملاً حديثه السابق: "**والرجل الذي لا مروءة له يهان وإن كثر ماله، كالكلب الذي يهون على الناس وإن طوّقَ وخلخل**". (ابن المقفع، 1987، 46).

وسار هذا المثال على نهج سابقه في تقديم جملة جواب الشرط لتجاور المشبه وليتصل الكلام ويتسق، ويلاحظ أن ابن المقفع أجرى انزياحًا آخر سبق الانزياح التشبيهيّ إذا قدّم جواب الشرط "يهان" "على فعله" "إن كثر ماله". لإحداث مجاورة ومقاربة بين انعدام المروءة و"يهان" ليثبت الفكرة عند المتلقي. وفي هذين المثالين تقوية للشرط وتمكينه بتوظيف التشبيه في التركيب الشرطي، وهو مطلب حجاجيّ رئيس في الخطاب الإقناعيّ لقيامه بوظيفة استدلاليّة حجاجيّة، ولكونه يخاطب عقل المخاطب ونفسه ومتخيله في الوقت نفسه. (المودن، 2014، 246).

وأتى التركيب الشرطيّ المنزاح على شكل لوحات نصيّة ذات مناويل تكرارية تتأسس على معاودة البنية الشرطية، وتعدد الحمولات الدلالية لكل تركيب شرطي وذات تماسك وترابط نصيّ بفعل التكرار، والروابط الحجاجيّة المتمثلة في حروف العطف، والإحالات الضميرية التي أبرزت الوحدات النصيّة مكثّفة موجزة، تدفع المتلقي إلى تركيز ذهنه في دعوتها فيما عليه إدراكه حين يقرر أن يسلك سبيلاً ما في حياته فقال:

"**خمسة غير مغتبطين في خمسة أشياء يَندمون عليها:**

الواهن المفرط إذا فاته العمل،

والمنقطع من إخوانه وصديقه إذا نابته النوائب،

والمستمكن منه عدوّه لسوء رأيه إذا تذكر عجزه،

والمفارق للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة،

والجريء على الذنوب إذا حضره الموت". (ابن المقفع، 1987، 35).

ويتساوق تقديم جملة فعل الشرط مع ابتداء الحديث، إذ قدم ابن المقفع "خمسة" الأولى المرتبطة بالأشخاص وآخر "خمسة" المرتبطة بالأشياء وعليه جاء التقديم في الجمل الشرطية التي تفصل العَددين خمسة للأشخاص وخمسة للأشياء. ولكن في تقديم جواب الشرط إشعار للمتلقي بأهمية تركيز ذهنه عليه، ووضعه في دائرة عنايته الرئيسة ليحاول التخلّص منه إذا كان جزءًا من وسلوكه؛ لذلك جاء بالمقدم معرفًا بأل التعريف، وعلى هيئة اسم الفاعل والصفة المشبّهة ليحتل بؤرة الخطاب المركزية وليفصل ما أتى مجملاً في العدد خمسة، وليحذره من أنّ ما كنت تسعد به وترضى سيتحول إلى ندم وشقاء حين تدور بك دوائر الحياة ولا يسعك التغيير.

وقال موصيًا ذا اللَبّ في تعامله مع السّلطان المقسط:

"**ولا يبطر إذا أكرموه،**

ولا يجترئ عليهم إذا قرّبوه،

ولا يطغى إذا سلّطوه،

ولا يلحف إذا سألهم، و...،

ولا يعتزّ عليهم إذا رضوا عنه،

ولا يتغيّر لهم إذا سخطوا عليه". (ابن المقفع، 1987، 30).

وقدّم ابن المقفع فعل ذي اللب (جواب الشرط) على فعل السلطان (فعل الشرط)، مع أن مقام السلطان أعلى وفعله مقدّم لكن ابن المقفع قدّم فعل صاحب اللب لأن الحديث ابتداءً يتأسس على وفق تصرّف صاحب الفعل مع السلطان، وهو أساس التوجيه السّلوكي للخطاب هنا، ولا يخفى دور النفي بـ "لا" التي تصدرت الجملة وشكلت نوعًا من الترقب والتشويق إلى ما على المخاطب عدم إتيانه. والنفي يعدّ أحد العوامل الحجاجيّة التي تعتبر أثرى من الإثبات في أداء وظائف خطابيّة أساسية في المنجز الحجاجي. (المبخوت، 2006، 206) (الناجح، 2012)؛ فهذه الأفعال التي تصدرت بالنفي تتوي خلفها أفعال مثبتة يقوم بها مَن يتقرّب من السلطان ظنًا منه أنّ قربه منهم يجسر المسافة بينهما، وهذا ما يحذّر منه ابن المقفع. وقد عزّز من أثر التراكيب الشرطية التزامها بنية فعلية مضارعة لفعل ذي اللبّ، وبنية فعلية ماضية لفعل السلطان ما أشاع انسجامًا وبثّ إيقاعًا نغميًا وصل بين التراكيب. ولعل صيغة المضارعة بجواب الشرط تبين استمرارية الفعل السلبي من قبل حاشية السلطان، ولو أن ما قدم إليها كان ماضيًا وقد لا يتكرر إلاّ أنّها تستغل ذلك في إتيان سلوك سلبي بصورة مستمرة متكلة على ما قدمه السلطان وهذا ما عبّرت عنه صيغ الأفعال في طرفي الشرط.

وقال محذرًا من السلاطين والاقتراب منهم موظفًا الانزياح في التركيب الشرطي: "**إنّك**
لا تأمن أنفة الملوك إن أعلمتهم،
ولا تأمن عقوبتهم إن كتمتهم،
ولا تأمن غضبتهم إن صدقتهم،
ولا تأمن سلوتهم إن حدّثتهم". (ابن المقفع، 1987، 75).

وقال في المبادئ التي تتأسس وفقها العلاقة مع الملوك:

"**لا تكوننَّ صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك على ...،**
قلة الاستقباح لما فعلوا إذا أساؤوا،
وترك الانتحال لما فعلوا إذا أحسنوا ...،
والمقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بعداء،
والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا أقرباء،
والاهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به،
والحفظ لهم وإن ضيعوه،
والذكر لهم وإن نسوه". (ابن المقفع، 1987، 75).

وفي اللوحة الانزياحيّة الأولى تحذير من مغبة الاقتراب من السلاطين، ولكي يكون التحذير أوقع في النفوس، وأكثر تحفيزًا كان لا بدّ من تقديم النتائج قبل المقدّمات، وعلى هذا سارت اللوحة التحذيرية على الإنزياح، وجاء جواب الشرط المقدم مؤكدًا بتكرار النفي والفعل "تأمن" مما شكل ضغطًا على تركيب "لا تأمن" ليبقى في ذهن المتلقي راسخًا، وليكون انعدام الأمان قارًّا في ذهنه؛ فمهما كان تعامله مع السلاطين فلا أمان له معهم. ولا ضابط لردود أفعالهم، وفي هذا تحذير وتنبيه لمن لا ينفكّون يتقربون لذوي الامر، وهم لا يدركون خطورة سعيهم.

وأما اللوحة الشرطيّة الثانية فلا يمكننا التوقف عند فعل الانزياح الشرطيّ من غير ربطه مع شبكة التقنيات الحجاجيّة الأخرى التي تفاعلت معه وتآزرت في رفع مستوى المنجز الحجاجيّ. فالوحدة تقنّن الأصول التي على من يرغب في صحبة السلطان الانطلاق منها في تواصله مع السلطان؛ ولأهمية هذه الأسس والأصول بدأت الوحدة النصيّة بأسلوب الحصر المؤكد بنون التوكيد الثقيلة. والحصر من "العوامل الحجاجيّة" وهي عناصر لغويّة تنتظمها غاية واحدة هي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل من خلال "تقوية طاقة الملفوظ الحجاجيّة، وذلك بتقليص ما يشوبه من غموض، أو تعدد في التأويلات التي يجعلها العامل الحجاجي محددة، وذلك بسرعة ربطه بين الحجّة والنتيجة فلا يضيع المتقبل في التأويلات المختلفة التي لا توصله إلى المقصود من الحدث التلفظي" (الناجح، 2011، 34). والحصر في الوحدة النصيّة قصر سلوك من يريد مصاحبة السلطان في عدد من التدريبات ولا شيء غيرها ليضعه أمام أفكار محددة ضيقة لا مجال لتجاوزها إلى غيرها ولو لم يوظف الحصر وجاءت الافتتاحية بقوله: اتبع ما يلي في صحبتك الملوك، أو هذه تعليمات صحبة الملوك؛ فالكلام سيكون والحالة هذه "لمجرد الإبلاغ والإعلام، وتكتفي اللغة بوظيفتها الإعلامية لا تتعدّاها إلى الحجاجيّة" (الناجح، 2011، 56)، (محمود، 2008).

وقد احتضن الشرط المنزاح عن أصله توجيهات الخطاب لمتلقيه، وتعليماته لتدريب النفس، وإعداد العدّة قبل الاقتراب من ذوي السلطة، وبما أن الخطاب بدئ بالحصر فلا بدّ أن يعقبه ما يكمّل معناه ويستوفيه وهو الفعل الصادر ممن وجّه إليه الخطاب، لذا استدعى المقام تقديم جملة جواب الشرط؛ لأنها المرتبطة بمتلقي الخطاب، ويقع عليه "الجار على" ولو لم يحدث التقديم فإن التراكيب لا تتّصل ولا تتّسق ولفقد الشرط غايته.

ولو نظرنا إلى الخطاب من زاوية أخرى فإن الانزياح أفضى إلى تسليط الضوء على حقيقة ما سيكون عليه صاحب السلطان؛ فحاضر الخطاب يؤكد أنّ التعامل مع السلطان له أصول تختلف عن التواصل مع بقية طبقات المجتمع، ولكنّ ما يثوي وراء الظاهر أكبر وأشد خطرًا؛ وهو أنّك أيها الراغب في أن تكون من حاشية السلطان بهذه الرياضة النفسية ستكون مملوكًا لأهواء السلطة ولا رأي لك ولا قرار، ولن تكون على سجيتك وطبعك، وفي الوقت عينه لن تصبح جزءًا من السلطة أو من السلطان؛ لذلك تصدّر فعل المتقرب من السلطة على فعل السلطة ليضعه الخطاب على جادة الصواب، ويحذره من منافع آنية يأتي بها التواصل مع السلطة، فرسم له الخطاب الصورة الحقيقية لهذه العلاقة الزاهية في ظاهرها المرعبة والخطيرة في باطنها لانطوائها على مغامرة لا تحمد عقباها؛ لذلك جاء الحجاج الشرطي منزاحًا لغايات التركيب في الظاهر، ولكنه أتى محذرًا ومنبهًا من مغبة الاقتراب من السلطة،

وهو أساس التّوجّه العدوليّ، إذ بإتيانه تتحقق غاية الخطاب ومقاصده.

ومما فعّل من الطاقة الإقناعية للوحدة النصيّة حضورُ الثنائيات الضدية حضورًا لافتًا إذ قامت عليها بنية التراكيب الشرطية المتكررة؛ فقد جلّت المفارقة التي سيوضع فيها المتقرّب من السلطة؛ فردود أفعاله على تضادّ كبير مع أفعالهم ليتحقق الانسجام ويرضى السلطان، وفي هذا تحفيز لعقل المتلقي ليدرك مدى الضغط الذي يمارسه على نفسه حين يتقرب إليهم فلا حضور ولا اعتبار لما يرغب فيه، أو لما يرغب عنه، فكلّ ذلك منوط برغبة السلطان وأهوائه. وقد برزت هذه المفارقة الشديدة في إحالتين مقاميتين في قوله: "المقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بعداء، والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا أقرباء"، فالاسم الموصول "من" وواو الجماعة في "كانوا" إحالات مقامية لا تعود على ما قبلها في النص، وعليه فهي تتسع لاحتمالات كثيرة خارج النص تضع المتلقي أمام خيارات صعبة، إذن يمكن أن يكون القريب الذي عليه إبعاده منصاعاً لرغبة السلطان أخًا أو أبًا أو صديقًا أو إنسانًا صالحًا، وقد يكون مَن عليه أن يقرّبه تحت رغبة السلطان كذلك عدوًا أو إنسانًا سيئًا. إنّه خطابٌ تعليميٌّ توجيهيٌّ لأصول التعامل مع ذوي الأمر إذا ما أُخِذَ بظاهره، ولكنّه في الحقيقة يفصح عن أبعد من ذلك، وهذا ما اقتضى الانزياح الذي يبقى مرهونًا بمقام القول، وبما يعتمل في نفس باثه فأهمية "المفردات التي تقدم في التركيب اللغويّ تقديمًا يخرج عن ضوابط القاعدة اللغويّة مستمدة من مكانة المقدم في نفس المخاطب؛ فلئن كان ترتيب الألفاظ داخل الجمل يخضع للضوابط التركيبية في كل لسان من الألسنة فإنّه بوسع المتكلم التصرف في هذا الترتيب والخروج على النظام اللغوي إذا اقتضت ذلك حال المخاطب النفسيّة؛ لأن تفاعل المخاطب مع الكلام وتحريكه للإنصات والتجاوب الفعّال يتحققان عبر خلق تشويق إلى بقية الكلام. والسمة الخطية التي تسم تأليف الكلام تجعل المخاطب يتأثر بطريقة التأليف، وينفعل بأسلوب ترتيب المفردات داخل التركيب؛ لأنّه كما لا يتمّ تلقي الكلام دفعة واحدة لا يحصل الانفعال في نفس المخاطّب دفعة واحدة، وإنّما يحصلان معًا بالتوالي والتزامن أي بتوالي المفردات في التركيب، وتوالي الانفعالات في نفس المخاطب، وبتزامن التوليفات اللفظية أو الخطيّة مع نشوء الانفعالات في نفس المخاطب". (الكدالي، 2017، 111).

النّسق الحجاجيّ التّفضيليّ

أفعال الإنسان مهما كان موقعه في المجتمع الذي يعيش في كنفه تقع بين نقطتي السّلب المطلق أو الإيجاب المطلق، وما بينهما تتفاوت الأفعال الإنسانية في قربها وبعدها عن السّلب والإيجاب المطلقين. ولا ينجو من فعل المفاضلة السلبيّة أو الإيجابيّة أحد؛ لذلك غدا أسلوب التفضيل شائعًا في حديث الناس. ولا يمكن أن نحكم دائمًا بسلامة مفاضلاتهم، وصحّة منطلقها؛ فهي تتبع من طبيعة المنظومة القيمية الشائعة بين أفراد المجتمع، ونظرتهم في إطلاق الأحكام المبنيّة على ما في الناس من تفاوتٍ واختلاف.

ولما كان ابن المقفع مدركًا لما جُبل عليه الخلق من التفاوت والمفاضلة، وخابرًا بما يقعون فيه من إطلاق المفاضلات الجائرة والظالمة، أو المفاضلات التي لا ترسخ قيم العدل والمساواة، فقد ارتأى استثمار أسلوب التفضيل في خطابه منجزاً منه نسقًا كثير الدوران في مدونته الأخلاقية؛ لإقرار جملة من الرؤى القيمية الجديدة وتثبيتها، أو تعديل قيم عند أفراد المجتمع وتغييرها، وإقناعهم برؤاه الأخلاقية لتغدو جزءًا من مدونتهم القيمية الجديدة.

وابن المقفع في خطابه الأخلاقي يجهد في حمل متلقيه على التزام السلوك الذي يقرّبه أكثر من المثالية الأخلاقية، وينفّره من سوء السلوك، ومن كل ما هو قبيح من التصرفات. ولينهض خطابه بهذه الدعوة الأخلاقية فقد توسّل بأسلوب التفضيل الذي يكشف عمق رؤية ابن المقفع إلى الفضائل والأخلاق وتباينها، إذ لا يمكن حصرها في حكم واحد سواء أكانت إيجابية أم سلبية فهي مراتب وطبقات. وحتى نتعرف الأثر الإقناعي لهذا النسق الخطابي في مدونة ابن المقفع النثرية لا بدّ من رصد تجليات توظيفه في التكوين البنائي للجمل في خطابه؛ ليقوم أسلوب التفضيل بتأثير أقوى، وتزداد طاقته الإقناعية حين يتبوأ مراكز عدة في الجملة مستغلاً كلّ موقع وأثره في المتلقي ليكون في أقوى حالاته وانتباهه ليندفع إلى الفعل المراد إنجازه.

التّفضيل والبنية الاسميّة:

وظّف خطاب ابن المقفع التفضيل في الجملة الإسمية الخبرية التي تأتي حاملة أفكاره المطبوعة بطابع الإثبات، والحقائق التي يرى أن لا خلاف حولها، ومما يمكّن ثباتها وفعلها الحجاجيّ تعزيزها بأفعل التفضيل لتحتل ركنًا من أركان الجملة الخبرية أو ركنيها معًا: وجاء التفضيل في ابتداء الجملة الإسمية على وجهين: الأول في العبارات القصيرة الموجزة غير الممتدة، والثاني في الوحدات النصيّة ذات العبارات المتلاحقة الموصولة بالروابط الحجاجيّة مثل العطف. أمّا الاستخدام الأول فمثل قوله:

"أشدّ الفاقه عدم العقل، وأشدّ الوحدة وحدة اللجوج". (ابن المقفع، 1987، 23).

و"**أقلّ الأمور احتمالاً للضياع الملك ...**".(ابن المقفع، 1987، 20).
و"**أحقّ الناس بالسلطان أهل المعرفة، وأحقهم بالتدبير العلماء**". (ابن المقفع، 1987 27).
و"**أفضل ما يورث الآباء الأبناء الثناء الحسن والأدب النافع**".(ابن المقفع، 1987، 28).
و"**أحقّ الناس باتهام نظره بعين الريبة والمقت السلطان ...**".(ابن المقفع، 1987 61).
و"**أحقّ الناس بإجبار نفسه على العدل... الوالي**".(ابن المقفع، 1987، 61).
و" **وأحوجهم إليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع**".(ابن المقفع، 1987، 63).
و"**أعدل السير أن تقيس الناس بنفسك، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك**.".(ابن المقفع، 1987، 32).
و"**أفضل البر الرحمة**.".(ابن المقفع، 1987، 45).
و"**أحق من لم يستخفّ به ثلاثة...**".(ابن المقفع، 1987، 37).
و"**أنفع العقل أن تحسن المعيشة فيما أوتيت من خير**.".(ابن المقفع، 1987، 32).

وإنّ في إيجاز العبارات، وتكثيفها اللغويّ ما يسمح بأخذها مأخذ الحكم والمواعظ السائرة التي اختبرتها العقول على مرّ العصور، فضلاً عن وضوحها، وبعدها عن غريب اللفظ، وصعب التركيب، والأبرز من ذلك ابتداؤها بأفعل التفضيل التي تحمل عنصر الجذب، وشدّ الانتباه.

وأمّا الوجه الثاني الذي تمظهر في الوحدات النصيّة فمثل قوله:

"**أفضل ما يُعْلَم به علم ذي العلم، وصلاح ذي الصلاح أن يستصلح بما أوتي من ذلك ما استطاع من الناس، ويرغّبهم فيما رغب فيه لنفسه من حبّ الله، وحبّ حكمته، والعمل بطاعته، والرجاء لحسن ثوابه في المعاد إليه، وأن يبيّن لهم من الأخذ بذلك؛ والذي عليهم في تركه، وأن يورّث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت**.".(ابن المقفع، 1987، 26).

ومثل قوله:

"**أحقّ الناس بالتوقير الملك الحليم، العالم بالأمور. وفُرَصِ الأعمال، ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعالجة والأناة، الناظر في أمرِ يومه وغده، وعواقب أعماله**". (ابن المقفع، 1987، 43).

وتتوجه مقصدية الخطاب في الوحدتين النصيّتين نحو غرس أفكار معينة في ذهن المتلقي لتكون جزءًا من قاعدته الفكرية القيمية، وليضمن تشويق المتلقي إلى الحمولات الدلالالية المتعددة التي تحتويها كلّ وحدة نصيّة اختار ابن المقفّع افتتاحيّة تفاضليّة قامت بدور المسند إليه، واختار دالّين على هيئة أفعل التفضيل فيهما دلالات متقبلة عنده (أفضل وأحق)، أسندت إلى الدالّ الأول دوالّ تشرح دور صاحب العلم والصلاح في المجتمع؛ ليكون ذا أثر فاعل في حياة الناس، ولا ينكفئ على ذاته، وأسندت إلى الدالّ الثاني دوالّ وصفيّة للأسس التي جدير بالناس تعرّفها في تقديرهم لمن يملك أمرهم. وهكذا شكل المسند إليه البؤرة النصيّة المركزية في الخطاب، وشكل المسند البؤرة الثانوية، لأنّ الأولى حملت تشويقًا واستفزازًا للمتلقي للمتابعة، ولتمكين المعاني المتضمّنة في المسند إليه في الوقت نفسه، فجميعها ترتدّ إلى افتتاحيّة القول التفضيليّ المركزيّة.

وفي كلتا اللوحتين النصّيتين سعى الخطاب إلى بناء المسند، وما عطف عليه وفق هيئة تركيبة وصرفية معينة بحيث يحقق انتظامها مزيدًا من طاقة النصّ الحجاجية، ولا يتوزع اهتمام المتلقي بملاحقة تراكيب وبنى صرفية متعددة بل تنصبّ عنايته على الدلالات والمعاني، لذلك بنى المسند الأول من المصدر المؤول (أن والفعل المضارع) والثاني من الصفة المشبهة واسم الفاعل التي حملت نعوتًا للمسند (الملك).

وجاءت أفعل التفضيل في موقع خبر المبتدأ في قوله:

"**جرح اللسان أشدّ من جرح اليد**". (ابن المقفع، 1987، 101).
و"**التكرّم أحقّ أن تسمو نفسك له بطلبته...**". (ابن المقفع، 1987، 97).
و"**صرعة اللين أشدّ استئصالاً من صرعة المكابرة**". (ابن المقفع، 1987، 42).
و"**...الملوك أحوج إليه [التقدير] من السوقة**.".(ابن المقفع، 1987، 53).
و"**... رأي القوة أحقهما بالبراءة، وأولاهما بالأثرة، ورأي التزيين أحضرهما حلاوة، وأكثرهما أعوانًا...**".(ابن المقفع، 1987، 63).
و"**... والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطرًا**".(ابن المقفع، 1987، 86).

و"**الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله لخلقه، وأعظمها منفعة، وأحمدها في كلّ حكمة.**" (ابن المقفع، 1987، 27).

و"**وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة. وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم، وأبرأ من الدنس وأنزه.**" (ابن المقفع، 1987، 87).

و"**خمول الذكر أجمل من الذكر الذميم.**" (ابن المقفع، 1987، 39).

لعلّ في إتيان المسند في الجملة ذات التركيب الإسمي على هيئة أفعل التفضيل ما يمكّن من طاقته التأثيريّة في نفس المتلقي الذي ينشدّ إلى دلالته التفاضلية بين أمرين، أو بين قيمتين في الحياة، وترجيح أحد الطرفين على الآخر وفق رؤية قيمية يستهدف ابن المقفع تكريسها في الحياة. ومجيء الصيغة التفاضلية في موقع المسند توجيه لذهن القارئ نحو المسند إليه ليزداد تقبله به، وانشغاله به، ومن ثم الإذعان لما فيه من دلالة.

وحتى يسلط الضوء أكثر على المسند في الجملة صاغه على هيئة شبه الجملة من الجار والمجرور ليتصدر الجملة، وليشكل منبهًا ومحفزًا للمتلقي للتعرف على ما بعد الصيغة التفاضلية المجرورة. مثل قوله:

"**ومن أحسن ذوي العقول عقلاً مَن أحسن تقدير أمر معاشه...**". (ابن المقفع، 1987، 32).

و"**من أفضل البر ثلاث خصال...**".(ابن المقفع، 1987، 32).

و"**ومن أعظم ما يروّح به المرء نفسَه أن لا يجري لما يهوى وليس كائنًا...**".(ابن المقفع، 1987، 36).

و"**من أشدّ عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه...**".(ابن المقفع، 1987، 39).

و"**من أقوى القوة على عدوك، وأعزّ أنصارك في الغلبة له، أن تحصي على نفسك العيون والعورات كما تحصيها على عدوك**" ابن المقفع، 1987، 50).

ووظّف ابن المقفع أفعل التفضيل في بناء المبتدأ والخبر معًا، ليشكلا ضاغطًا أسلوبيًا لافتًا بين طرفي الجملة الاسميّة مما يشدّ المخاطب، ويوسّع أمامه الصورة ويلوّنها ويساوي بين ركني الجملة في العناية والتأثير مثل قوله:

"**فأفضل ذوي الألباب أشدّهم لنفسه، بها أخذًا، وأقلهم عنها فيه فترة**". (ابن المقفع، 1987 17).

و"**أغنى الناس أكثرهم إحسانًا**".(ابن المقفع، 1987 39).

و"**أغبط الناس عند ذوي العقل أكثرهم سائلاً منجحًا ومستجيرًا آمنًا**". (ابن المقفع، 1987، 47).

وفي وحدة نصيّة لافتة وظّف الخطاب أفعل التفضيل مستثمرًا تقنينة التكرار في بناء الجملة الاسمية بطرفيها على أفعل التفضيل مما أبرز اتساقًا واتصالاً بين الجمل التفضيلية المعطوفة، وعمل على تلوين لواحق أفعل التفضيل في المبتدأ والخبر؛ فجاءت أفعل التفضيل في المبتدأ مسندة إلى الضمير العائد على "الناس"، وجاءت محددة بالتمييز، وكذلك الخبر جاء محددًا بالتمييز، وشبه الجملة من الجار والمجرور فقال:

مبتدأ	خبر
"وأقربهم إلى الله	أنفذهم في الحق وأكملهم به عملاً،
وأحكمهم	أبعدهم من الشك في الله،
وأصوبهم رجاء	أوثقهم بالله،
وأشدهم انتفاعًا بعلمه	أبعدهم من الأذى،
وأرضاهم في الناس	أفشاهم معروفًا،
وأقواهم	أحسنهم معونة،
وأشجعهم	أشدّهم على الشيطان،
وأفلحهم بحجة	أغلبهم للشهوة والحرص،
وآخذهم بالرأي	أتركهم للهوى،
وأحقهم بالمودة	أشدهم لنفسه حبا،
وأجودهم	أصوبهم بالعطية موضعًا،
وأطولهم راحة	أحسنهم للأمور احتمالاً،
وأقلهم دهشًا	أرحبهم ذراعًا،

وأوسعهم غنى	أقنعهم بما أوتي،
وأخفضهم عيشًا	أبعدهم من الإفراط،
وأظهرهم جمالاً	أظهرهم حصافة،
وآمنهم في الناس	أكلّهم نابًا ومخلبًا،
وأثبتهم شهادة عليهم	أنطقهم عنهم،
وأعدلهم فيهم	أدومهم مسالمة لهم،
وأحقهم بالنعم	أشكرهم لما أوتي منها". (ابن المقفع، 1987، 27).

وتتقصد هذه الوحدة النصيّة تغيير مفاهيم قيمية قوامها المفاضلة بين الناس شاعت وسارت بين أفراد المجتمع، في حين يراها ابن المقفع مبادئ مغلوطة لا ترسّخ أبعادًا إنسانية ومعنويّة في منظومة القيم الإنسانية السليمة، وفي سبيل تغيير ما غدا قارًا وثابتًا توسّل خطابُه بشبكة من الإجراءات الحجاجية الإقناعية ليقدم للمتلقي منظومة قيمية جديدة ذات حمولات دلالية إنسانية.

وشيّدت الوحدة النصيّة على تكرار بنية تركيبية قوامها الجملة الاسمية التي تحمل دلالة الثبات والرسوخ، وبني طرفاها المسند والمسند إليه من صيغة صرفية واحدة هي أفعل التفضيل مما زاد من طاقة الوحدة النصيّة الإقناعية، فضلاً عن التكرار الذي سمح بإحداث تراكم دلاليّ ذي بنية تفاضلية احتضنها تركيب إسميّ، حمل دلالات قيميّة جديدة في كل معاودة وتكرار؛ لاستبدال قيم جديدة بقيم قديمة لتعديل مفهوم صاحب الأفضلية فلجأ الخطاب إلى تغيير المسند في كل تركيب طابعه إنساني.

وقد زاد في لفت انتباه المتلقي وجذبه إلى متابعة حمولات الوحدة النصيّة، وتعزيز أثرها الإقناعي ابتعادها عن الحشو اللفظي، والتزامها بالاقتصاد اللغوي الذي يعني إحراز أكثر ما يمكن من المعانيبأقلّ ما يمكن من الألفاظ؛ فيغدو الكلام أبعد معنى، وأقل لفظًا وبالتالي أكثر تأثيرًا وحجاجًا. وهذا لون من التكثيف الذي يتمثل "في شحن الكلمات بمعانٍ تربو على طاقتها العادية، دون الاعتماد في ذلك على غير الألفاظ الموجودة في النص، والقارئ مطالب بالاكتفاء بالألفاظ المعروضة عليه دون السّعي إلى اكتشاف ألفاظ قد يظنها محذوفة أو مقدرة". (بديدة، 2009، 22)، فتأخذ التراكيب المتلقي إلى آفاق رحبة من الحقول الدلالية القيمية المتنوعة المختلفة إلا أنها مترابطة ومتواصلة بانتمائها إلى فكرة دلالية عامة، وبتوظيفها جملة من العناصر التي تضفي على النص تماسكًا وسبكًا، ومنها السّبك النحوي الذي يعتمد الربط فيه على استمرار توظيف عناصر نحوية عبر الجمل المتتابعة مما يخلق نوعًا من الرّبط والاتّصال بين تلك الجمل وذلك بوحدة الوظيفة النحوية في تلك الجمل، وفي الوحدة النصيّة نرى أن الجمل قائمة على تكرار شقي الجملة الاسمية، وممّا زاد في ترابط الجمل المتتابعة السبك الصرفي القائم على تكرار وحدة صرفية معينة مثل "أفعل التفضيل" التي احتضنتها الجملة الإسمية في مبتدئها وخبرها. (فرج، 2009، 81).

وساهمت الإحالة في الوحدة النصيّة بمزيد من السبك النحوي وتجلت في ضمير الغائب (هم)، العائد على الناس في مقدمة الوحدة، "ويحقق استرجاع المعنى عن طريق الإحالة الاقتصاد في اللغة، إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصرَ المحال إليها، وتجنب إعادتها، وفي الوقت نفسه تحفظ المحتوى مستمرًا في المخزون الفعال دون الحاجة للتصريح به مرة أخرى، ومن ثمّ تتحقّق الاستمراريّة". (فرج، 2009، 84). وقد ربط الخطاب أطروحات جمله المتتابعة، ووصل بينها بأدوات العطف ومنها حرف (الواو) مما جعل أفكاره القيمية تعرض بشكل تراكمي، "وتقدم أدوات العطف – على اختلافها– طريقًا يتم به الارتباط بين الأخبار التي يعرضها الكاتب بشكل أفقي. ومع كل نوع من هذه الأدوات يعكس الكاتب وجهة نظر، أو يسعى إلى تقديم معلوماته تقديمًا مقصودًا بهدف الحصول على قبول القارئ لإجراءاته البنائية، التي تصل به إلى قبول النص كليًا". (فرج، 2009، 96). ومن ثمّ قبول حمولاته الدلالية والاقتناع بها لتتحول إلى واقع في حياته وسلوكه. وهكذا فقد اتحدت جملة من الآليات الحجاجية المختلفة والمكونة من عناصر معجمية ونحوية وصرفية وتركيبية زادت من حجاجيّة الوحدة النصيّة، وأبرزتها محكمة في بنائها ومتسقة.

وكان التفضيل جزءًا من بناء الجملة الاسمية التي دخلت عليها النواسخ مثل كان وأخواتها وإنّ وأخواتها. أمّا ما كان جزءًا من بنية الأفعال الناقصة الناسخة فجاء غالبًا خبرًا مثل قوله مكررًا أفعل التفضيل خبرًا لكان: **"إذا جعل الكلام مثلاً كان ذلك:**

أوضحَ للمنطق، وأبينَ في المعنى، وأوسعَ لشعوب الحديث".(ابن المقفع، 1987، 23).

وقوله: **"إنّا وجدنا الناس قبلنا كانوا:**

أعظَم أجسامًا، وأوفر مع أجسامهم أحلامًا،

وأشدّ قوة، وأحسن بقوتهم للأمور إتقانًا،
وأطول أعمارًا، وأفضل بأعمارهم للأشياء اختبارًا". (ابن المقفع، 1987، 51).
وقوله: "**وأنّ غنمًا حسنًا لك أن يكون عشيرُك وخليطُك،**
أفضلَ منك في العلم فتقتبسَ من علمه،
وأفضلَ منك في القوة فيدفَع عنك بقوته،
وأفضلَ منك في المال فتفيدَ من ماله،
وأفضلَ منك في الجاه فتصيبُ حاجتك بجاهه،
وأفضلَ منك في الدين فتزدادَ صلاحًا بصلاحه". (ابن المقفع، 1987، 88).
وقوله: "**وإن غلبتَ على الكلام وقتًا، فلا تغلبنّ على السّكوت فإنه لعله يكون:**
أشدَّهما لك زينة، وأجلبهما إليك للمودة وأبقاهما للمهابة، وأنفاهما للحسد".(ابن المقفع، 1987، 93).

وإنّ في تكرار خبر كان المنصوب غير مرّة في الوحدة النصيّة، وفي بنائه من وحدة صرفية واحدة هي (أفعل التفضيل) سببًا صوتيًا يربط الجمل المتتابعة، ويعتمد على " وجود عناصر صوتية تشيع جوًا من التوحد السمعي بين جمل النصّ عند القارئ من خلال تكرار نفس المقاطع الصوتية بإيقاع منتظم على مسافات ثابتة. ويجعل هذا الانتظام الإيقاعي جمل النص تبدو للوهلة الأولى مترابطة فيؤدي هذا إلى قبولها مبدئيًا من القارئ". (فرج، 1987، 81). وقبول المتلقي للنص عامل أساسيّ في الأخذ بحمولاته الدلالية، والانخراط في العالم الذي يرسمه الخطاب، والاقتناع بها لتغدو جزءًا من منظومته القيمية السلوكية. (فرج، 2009، 81)، (عرابي، 2008، 21).

وأما "إنّ" فقد استثمر ابن المقفع أفعل التفضيل في اسمها وفي خبرها لتفيد معنى التعليل مثل قوله معللاً دعوته طالب الأدب إلى حسن التقدير في إنفاق المال رغم سعة قد يكون فيها: "**... فإن أعظم النّاس في الدنيا خطرًا أحوجهم إلى التقدير، والملوك أحوج إليه من السوقة لأنّ السوقة قد تعيش بغير مال، والملوك لا قوام لهم إلا بالمال**". (ابن المقفع، 1987، 53).

وقال معللاً تحذيره من الجاهل وإن كان قريبًا أو جارًا أو إلفًا: "**فإن أخوف ما يكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها، وكذلك الجاهل...**". (ابن المقفع، 1987، 41).

وقال معللاً تحذيره من نقل الكلام سماعًا دونما برهان: "**... فإنّ الكذب أكثر ما أنت سامع، وإنّ السفهاء أكثر من هو قائل**". (ابن المقفع، 1987، 95).

وعلل نهيه عن الإعجاب بكرم مصدره المنزلة أو السلطان أو النسب. فقال: "**لا يعجبنّك إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان؛ فإنّ السلطان أوشك أمور الدنيا زوالاً، ولا يعجبنّك إكرامهم إياك للنسب؛ فإنّ الأنساب أقلّ مناقب الخير غناءً عن أهلها في الدين والدنيا**". (ابن المقفع، 1987، 96-97).

وجاءت "أفعل التفضيل" في بناء الجملة التعليلية متتابعة مكررة البناء، فقال ابن المقفع ناهيًا: "**لا يضيعنَّ الوالي التثبتَ عندما يقول، وعندما يعطي، وعندما يعمل؛ فإنّ الرجوع عن الصمت أحسنُ من الرجوع عن الكلام، وإنّ العطية بعد المنع أجملُ من المنع بعد الإعطاء، وإنّ الإقدام على العمل بعد التأني فيه أحسنُ من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه**".(ابن المقفع، 1987، 62).

وفي التعليل حجاج مصدره تقييم الأفعال ببيان خواتيمها، وتزداد فعاليته بالتوكيد بـ "إنَّ". وبالتفضيل الذي يشكل مركزية المعنى وبؤرته الرئيسة، فينشدّ إليه المتلقي أينما كان موقعه في تركيب الجملة، وينشغل بحمولاته الدلالية وعلاقاته مع أركان الجملة الأخرى.

وحرص ابن المقفع على انتقاء دوالّه التفضيلية التي تحمل سمات الجذب والتقبل، وتجنّب الدّوالّ التي تحمل التنفير والإبعاد، فهي تدور حول الأفضل والأحسن، والأحق، والأشدّ والأعظم، ألفاظ في اختيارها قصدية لتثبيت دلالتها في ذهن المتلقي، واستدعاء أبعادها الإيجابية من مرجعياته الثقافية.

النّسق الحجاجيّ التّقابليّ

"... فإنّ للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات، وما جرى مجراها تحريكًا وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام؛ لأنّ تناصر الحسن في المستحسنيْن المتماثليْن والمتشابهيْن أمكنُ من النفس موقعًا من سنوح ذلك لها في شيء واحد. وكذلك حال القبح وما كان أملكَ للنفس وأمكنَ منها فهو أشدُّ تحريكًا لها، وكذلك أيضًا مثولُ الحَسن إزاءَ القبيح أو القبيح إزاءَ الحسن ممّا يزيد غبطة بالواحد، وتخليا عن الآخر؛ لتبيّن حال الضدّ بالمثول إزاء ضدّه؛ فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من

النفس عجيبًا".(القرطاجنّي، 1966، 44-45).

ولعلَّ في مقولة حازم القرطاجنّي ما يزيّن سبر غور التقابل في خطاب ابن المقفع إذ شكل حضوره نسقًا رئيسًا، وتوظيفًا فعالاً في عملية البناء النصيّ بل وفي تشكيل منظوراته النصيّة. "ووفرة الثنائيات في النص الأدبي دليل انسجام إيقاعاته وانفتاحه على أكثر من محور، فيمكن أن تعثر على مجموعة أنساق متضادة في النص الأدبي الواحد تضفي عليه مزيدًا من الحيوية والحركة، هذه الأنساق المتضادة ذات صلة بالكون الذي تصورّه. (الديوب، 2009، 5)، ولعلّ موطن الجمال في الثنائيات الضدية ناجم عن جمعه بين ضدّين في بنية واحدة وهذا ما يؤدي إلى تعميق البنية الفكرية للنص بالحركة الجدلية بين الثنائيات الضدية. ويعتمد الفكر بعامة في نشاطه على الثنائيات الضدية، وحوار الحدود المتقابلة والمتباينة، فتجتمع في النفس الإنسانية ثنائيات ضدية يمكن عدّها كامنة في أغوار النفس الإنسانية؛ فالحياة غريزة واضحة الأثر في حركاتنا وسكناتنا، والموت كذلك ماثل أمام أعيننا، والسّواد والبياض حاضران جنبًا إلى جنب في حياتنا؛ وهذا يدفعنا إلى القول إن مظاهر الحياة المتعددة ما هي إلا نتيجة لذلك التجاذب بين قطبي هذه الثنائيات الحاضرة في الكون وفي النفس البشرية. (الديوب، 2009، 4).

وميل ابن المقفع إلى التوسل بالتضّادّ أو المقابلة في خطابه الأخلاقي لم يستثمر قصدَ إيضاح الفكرة وتقوية العبارة، وتمكين دلالتها في نفس المتلقي، وحمله على تحويلها إلى سلوك في حياته حسب بل إنّه إلى جانب ذلك لوازم عقلية، وخواص ذهنية تظهر العقلية الجدلية العميقة التي امتاز بها ابن المقفع في رؤيته للحياة بوجوهها المختلفة المتناسقة المتساوقة حينًا، والمتضادة المتعاكسة حينًا آخر، وهذا يكشف أو يؤشّر على رؤية منشئ الخطاب للعالم وقيمه السّائدة، وكيف يمكن تغييرها إلى ما هو أفضل، أو تغليب قيمة إيجابية على أخرى سلبية.

وفي الثنائيات الضدية تكمن طاقة حجاجيّة إقناعيّة بما تحمله من صور متقابلة ووجوه متعددة لمعطيات الحياة والسلوك الإنساني؛ فتجعل صورة الأشياء متّسعة أمام المتلقي ليقارن بينها من حيث هي سلوكات بشرية، وليقارن بين نتائج إتيان سبيل هذا السلوك أو ذاك، ومن ثم يكون اختياره قائمًا على وفق ما يحصّله من مَغانم ومكاسب إيجابية، أو مغبّات سلبية حسب ما يختار بمعنى أن ابن المقفع يوجّه المتلقي نحو سلوك واعٍ عقلي غير عاطفي ليحصد النتائج فيما بعد، والتضّادّ كان عونًا كبيرًا له في حمله المتلقي على هذا الاختيار.

وتبرز أهمية التقابل والتضّادّ في تضامّه أجزاء الكلام، وإقامة علاقات دلالية داخل السياق النصيّ أو خارجه؛ مما يفضي إلى نوع من التلازم الذهني بين المنشئ والمتلقي "والتقابل غالبًا ما يقع بين معاني النص الخطابي لتنبيه المتلقي فيزيد الأمر قوة ووضوحًا، وكذا يقع بين ألفاظه التي يؤثر بعضها في بعض تأثيرًا واضحًا ما يزيدها حضورًا وإثارة في ذهن المتلقي". (الحدراوي، 2017، 100).

ويعقد التضّادّ نوعًا من التعالق المعجمي الذي "يحقق الاتساق النصيّ عن طريق استمرارية المعنى، وانتظام العناصر المعجمية، واتجاهها نحو بناء الفكرة الأساسية للنصّ، إذ تسهم هذه العناصر في توضيح العناصر المعجمية الأخرى المرتبطة بها وبيانها، ومن ثمّ تضمن للنصّ الفهم المتواصل للمتلقي وانسجامه مع المتكلم في أثناء السماع أو القراءة". (الحدراوي، 2017، 98).

وقد قسّم اللغويون المحدثون التضّادّ إلى أنواع متباينة فهم يفرقون بين التضّادّ الحادّ مثل (حيّ – ميت) (أعزب – متزوج)، والتضّادّ المتدرّج النّسبي مثل (ساخن– بارد) إذ هناك درجات من السخونة والبرودة، وهناك التضّادّ العكسي مثل (باع– اشترى)، وهناك التضّادّ الاتجاهي مثل (أعلى – أسفل) والتضّادّ العمودي (شرق – غرب).(عمر، 1982، 102-103).

ولجلاء دور التضّادّ في حجاجيّة خطاب ابن المقفع الأخلاقي ارتأينا تسليط الضوء على دوره في أبنية الخطاب وأساليبه وفي تعزيز طاقتها الحجاجيّة، وأثرها الإقناعي وأول ما نبدأ به أسلوب التعليل وتوظيف التضّادّ في بنيته.

التضّادّ والتّعليل:

التّعليل يرافق الأنساق الحجاجيّة المختلفة في مدونة ابن المقفع النثرية، فبدا معززًا الإقناع فيها، ممكّنا من قدرتها الحجاجيّة. مراعيًا رغبة المتلقي في إيضاح ما يكمن وراء ما يدعوه إليه الخطاب، وحين يجتمع التضّادّ والتعليل يمتد أفق التصور عند المتلقي، وتجتمع أضداد الحياة ليختار وفق رؤية عميقة. فقال: "**... ولكن إذا أُكرمتَ على دين أو مروءة فذلك فليعجبك؛ فإنّ المروءة لا تزايلك في الدنيا، وإنّ الدين لا يزايلك في الآخرة**". (ابن المقفع، 1987، 97).

جملتان تفسيريتان ختمنا بتضاد بين الدنيا والآخرة، وبالرغم من التضّادّ الذي بينهما إلا أن الحصاد الإيجابي جمع بينهما حين يكرم المرء على الدين والمروءة. ومما عزّز من تمكين طاقة التضّادّ الذي احتوته الجملتان التفسيريتان تقدم الشرط عليهما فجاء

التعليل مبينًا المضارع المسبوق بلام الأمر (فليعجبك). وفي اختيار موقع المفردات المتضادة ملمح داعم لطاقة الوحدة النصيّة الحجاجيّة فنهايات العبارات قد وصلت وربطت بالتضّادّ الذي يبقى حاضرًا وفاعلاً في ذهن المتلقي. وقال مخاطبًا السلطان:

"احرص الحرص كلّه على أن تكون خابرًا أمور عمالك؛ فإنّ المسيء يفرَق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك، وإنّ المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك".ابن المقفع، 1987، 57).

بنى الخطاب التعليل على التضّادّ بين عمّال السلطان، فهم فئتان مسيء ومحسن وكلّ منهما يتعامل مع خبرة السلطان بطريقة مختلفة ومناقضة للآخر. وإذا أدرك السلطان قيمة هذه المعرفة؛ فإن عمّاله سيدركون أثرها قبل ارتكاب أي فعل حسن أو سيء. وهذا التعليل المفصّل الذي رافقه التضّادّ في ثلاثة مواقع من كل جملة: (المسيء / المحسن) و(يفرق/ يستبشر) و(عقوبتك/ معروفك) رسم صورة لفئات عمّال السلطان جميعها؛ فبدا التقابل واضحًا بينهما، وقد رافق التضّادّ الصورة بكلّ عناصرها وأجزائها مما حثّ المتلقي على متابعة تفاصيل الصورتين وإدراك الفوارق بينهما. وقال موصيًّا:

"... ولا تخلطنَّ بالجدِّ هزلاً، ولا بالهزل جدًا؛ فإنّك إن خلطت بالجدّ هزلاً هجّنته، وإن خلطت بالهزل جدًا كدّرته". (ابن المقفع، 1987، 78).

وتضافرت تقنيات حجاجيّة في هذه الوحدة النصيّة حملت دعوة ابن المقفع متلقيه إلى إدراك مقامات الحديث؛ فبدأ حديثه ناهيًا مؤكدًا نهيه بنون التوكيد الثقيلة التي عزّزت من صوت النهي وفعله، ومن ثم جاء المنهي عنه مبنيًّا على التضّادّ مرتين تصوران موقفين أو مقامين: المقام الجاد والمقام الهازل. ولم يكتف الخطاب بهذه الدعوة أو الوصيّة السلوكية بل عزّز الألوان الحجاجيّة التي قامت وصيته عليها بلون آخر معلّلاً وموضحًا نتيجة كل فعل دعا متلقيه إلى تجنبه، وبني التعليل من الشرط الذي احتضن التضّادّ بين الجدّ والهزل في تعليلين اختلف ترتيب مفردتي التضّادّ فيهما ما أفضى إلى اختلاف التعليل ونتائجه، وتشكلِ عنصر جذب وإقناع للمتلقي فضلاً عن القصد الإيقاعي الذي أحدثه تكرار دالي (الجدّ والهزل). وقال:

"احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء؛ وذلك أنّ العدوّ خصم تصرعه بالحجة وتغلبه بالحكّام، وأنّ الصديق ليس بينك وبينه قاضٍ فإنّما حكمه رضاه". (ابن المقفع، 1987، 81).

وقامت الوحدة النصيّة على عدد من الدعائم والتقنيات الحجاجيّة التي توجّه المتلقي إلى طريقة التعامل مع العدو والصديق؛ فابتدأ ناسبًا الحديث إلى حكيم ينبّه المتلقي إلى أن ما سيأتي به وعليه حفظه واتباعه هو خلاصة تجربة، وطول نظر وخبرة في الحياة اختبرها حكيم ونقلها لتكون عبرة وعظة للناس، وقام التعليل على التضّادّ بين جملتين اسميتين دخل عليهما الناسخ المؤكد "إنّ" وأفضى ذلك إلى تثبيت قول الحكيم وترسيخه وعللت كل منهما شقًّا وجانبًا من دعوة الحكيم ورأيه. وفي هذه الوحدة النصيّة توظيف لما يسمى "حجة السلطة" التي تنسب الأقوال والأفعال إلى شخصيات ذات تأثير فعّال في ذهن المتلقي كونها تمثل مرجعيّات دينية أو ثقافية أو اجتماعية، وهي حجّة كثيرة الشيوع وثابتة الطاقة الحجاجيّة، وتنبني في جوهرها على اعتبار الصلة بين شخص ما وأعماله، ولا سيما على مبدأ ثبات الشخصيّة بحيث إذا قامت بفعل معين، أو اتخذت موقفًا محددًا فلأنها عرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد وستظل كذلك. (الدريدي، 2008، 229).

وقال: "لا تتركنّ مباشرة جسيم أمرك فيعودَ شأنك صغيرًا، ولا تلزمنّ نفسك مباشرة الصغير فيصيرَ الكبيرُ ضائعًا". (ابن المقفع، 1987، 53).

وقال: "حقّ الوالي أن يتفقد لطيف أمور رعيته فضلاً عن جسيمها؛ فإن للطيف موضعًا ينتفع به، وللجسيم موضعًا لا يستغنى عنه". (ابن المقفع، 1987، 62).

وإنّنا نلمس في تعليلات ابن المقفع نَفَس الحكمة التي تعدُّ رافدًا مهما في العملية الحجاجيّة لما تضطلع به الحكمة من وظيفة تبريرية للآراء والمواقف والأحكام". (الدريدي، 2008، 113)، وقد أتت الجمل التعليلية على شكل تركيب اسميَ اقترن بأداة التوكيد (إنّ).. أو جاء خبرها على هيئة جملة فعلية تحمل صفة الاستمرارية، أو على هيئة شرط ذي طاقة حجاجيّة عالية. والتركيب الاسمي "يساعد على إخراج المعاني الحكمية في قالب تقريري فتأتي بشكل قاعدة عامة، أو قانون عام ومن ثم تخرج من مجال التجربة الفردية الضيقة إلى مجال أرحب وهو المجال الإنساني". (الدريدي، 2008، 115).

التضّادّ والشّرط:

وقد عزّز التضّادّ من حجاجيّة التركيب الشرطي حين احتضن المتضادات في شطريه أو في أحدهما، فقال جامعًا المتضادات في جملة فعل الشرط:

"ثم إن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره، والانتفاع بذلك فهو أفضل." (ابن المقفع، 1987، 53).
وقال: "ثم إن قدرت على أن تكون أوّل حامل منصرف من غير تضييع للحذر فهو أفضل." (ابن المقفع، 1987، 53).
وقال: "إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنّك ذلك." (ابن المقفع، 1987، 79).

واستثمر التضّادّ بين طرفي التركيب الشرطي فجاء أحدهما في جملة فعل الشرط وجاء الثاني في جملة جواب الشرط فقال:

وقال: "فإذا قويت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوئ، وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصّره موقع الخطأ." (ابن المقفع، 1987، 66).

وقال: "... قد يسعى إلى أبواب السلطان أجناس من الناس كثير؛ أمّا الصالحُ فمدعوّ، وأما الطّالح فمقتحم، وأمّا ذو الأدب فطالب، وأمّا من لا أدب له فمختلس، وأمّا القوي فمدافع، وأمّا الضعيف فمدفوع، وأمّا المحسن فمستثيب، وأمّا المسيء فمستجير. فهو مجمع البرّ والفاجر، والعالم والجاهل، والشريف والوضيع." (ابن المقفع، 1987، 24).

وهذه لوحة نصيّة تبوّأت فيها الثنائيات الضديّة بؤرة الخطاب الرئيسي الذي نهض بناؤه وتشييد الدلالات فيه على مناويل تركيبيّة متكررة أفضت إلى تراكم دلاليّ حمل رؤية ابن المقفع للفئات التي تجهد في سعيها إلى أبواب السلطان لتحظى بعنايته واهتمامه. وقامت الوحدة النصيّة على شبكة من التقنيات الحجاجيّة تآزرت معًا وتضافرت قصد التأثير في المتلقي وإقناعه، فابتدأت بجملة فعلية (قد يسعى...) تحمل دلالة الاستمرار، وعدم الانقطاع أي أن أبواب السلاطين لا ينقطع عنها سعي السّاعين على اختلاف صفاتهم ومقاصدهم. واستمر الخطاب موضحًا ومؤكدًا ومفصلاً ما أجملته الجملة الفعلية بتفصيل حجاجي يوظف "أمّا" التفصيلية الشرطية التي أمعنت في اقتصادها اللغوي، وفي تأثير إيجازها الذي يبعد المتلقي عن تفصيلات وزيادات لا تفيده في هذا المقام. وتكررت البنية الشرطية من الأداة ذاتها ومن اختلافٍ لحمولتها الدلالية في كل تكرار بين فعل الشرط وجوابه. لكنها ترابطت واتسقت لتبدو وحدة نصيّة ذات دلالات واضحة تخلو من اللبس في أداء مقصودها، وقد عزّز من فعالية هذه الآليات الحجاجيّة المتكررة السّبك الصوتي الذي أشاع جوًا من التوحّد السمعي الصوتيّ فكأن الوحدة النصيّة قطعة موسيقية جاذبة لافتة، هيمن عليها صوت الرفع بين فعل الشرط وجوابه، وزاد من موسيقاها التضّادّ الذي ربط بين كل بنيتين شرطيتين، وقد حرص المنشئ على تكرار التعريف في فعل الشرط والتنكير في جوابه وهذا كله يعمل في ذهن المتلقي وإدراكه لحمولات النصّ الدلالية.

وتآزر التضّادّ مع التفضيل حين بني العنصران المتضادان على هيئة البنية الصرفيّة "أفعل" التفضيليّة فقال: **"قد بلغ فضل الله على النّاس من السّعة، وبلغت نعمته عليهم من السّبوغ ما لو أنّ:**

أخسَّهم حظًّا،
وأقلّهم منه نصيبًا،
وأضعفَهم علمًا،
وأعجَزهم عملاً،
وأعياهم لسانًا بلغ من الشكر له، والشفاء عليه بما خلص إليه من فضله ووصل إليه من نعمته ما بلغ له منه:
أعظمُهم حظًّا،
وأوفرُهم نصيبًا،
وأفضلُهم علمًا،
وأقواهم عملاً،
وأبسطهم لسانًا،
لكان عمّا استوجب الله عليه مقصرًا، وعن بلوغ غاية الشكر بعيدًا." (ابن المقفع، 1987، 26).

وتركيب شرطيّ احتضن المتضادات التي بنيت من صيغة صرفيّة واحدة هي "أفعل التفضيل". وقد حصر الخطاب التفضيل التقابلي في جملة فعل الشرط المؤلفة من أنّ واسمها وخبرها، فجاءت الصيغة الأولى سلبية حملت اسم "أنّ" ومعطوفاتها، في حين أن خبرها حمل الصيغة التي تناقضها وهي الإيجابيّة، وطغى على المجموعة الأولى صوت النصب في اسم إنّ وتمييزه وما عطف عليه، في حين أن ما يتضاد معه تشكل من صوتين الرفع في خبر إن، والنصب في تمييزه. وهذا أبقى المتلقي في دائرة من البنى ذات الأصوات المتجانسة المتتابعة. ومما عزّز التأثير والإقناع في الوحدة النصيّة امتداد البنية التفضيلية من بداية الوحدة إلى نهايتها مع اختلاف الدلالات فتجلت أمام المتلقي مجموعة من التراكيب الممتدة في دلالاتها المتسعة في معانيها في تكثيف وإيجاز لفظيّ.

وقد شدّت الوحدة النصيّة متلقيها حين جمعت بين من هم في أدنى مرتبة في أشياء معينة، ومن هم في أعلاها ضمن التمييز ذاته وهؤلاء من الصعب أو من المستحيل أن يتفقوا أو يجتمعوا على فعل معين واحد، ولكن الخطاب تخيّل هذا الاجتماع البعيد أو المستحيل ليصل بالمتلقي إلى حقيقة أن هؤلاء المتناقضين لو اجتمعوا على شكر الله وبلغوا درجة الشكر ذاتها فلن يصلوا إلى ما يستحقه الله من الشكر أي أنهم يتساوون في درجة التقصير عن بلوغ الشكر. وهكذا تمكن التقابل من تحقيق بنية إيقاعية معنوية قائمة على التوقيع وكسر التوقع في إيراد المعنى؛ فالخطاب بعد أن صدّر النص بعدد من المؤكدات يكون قد هيّأ المتلقي للتفاعل مع الدلالة المنبعثة فجاء القسم الأول من جملة فعل الشرط مؤسسًا عددًا من الدلالات السلبيّة المطلقة لكنّه سرعان ما ينزاح عن هذه الدلالات السّلبيّة إلى الضدّ منها ليؤسس ما يتضادّ معها في بناء لفظي صرفي واحد وحمولات دلالية مختلفة للقيام بفعل واحد هو الشكر، وكما اجتمعت الفئات بالشكر اجتمعت كذلك في التقصير عن إتيان غايته القصوى.

ولو أنّ الخطاب لم يوظف البنية الصرفيّة "أفعل" وجاء ببنية الصفة المشبهة مثل: لو أن خسيسي الحظ، وقليلي النصيب... وضعيفي العلم وما يناقضها من الإيجاب مثل: عظيمو الحظ، ووافرو النصيب... ففي ظني ستكون مقصّرة عن إتيان الأثر الإقناعي في هذا المقام القائم على جمع المتناقضان والمبالغة في اتّفاقها واجتماعها على فعل الشكر لله، فصيغة التفضيل بشقيها السلبي والإيجابي ذات فعل حجاجي ولا سيّما حين قدّم الصورة السّلبية أولاً؛ لأنّها تشدّ المتلقي وتجذبه ليرى علاقة هؤلاء بمقدمة الوحدة التي تتحدث عن نعم الله وتمامها وشمولها. وهكذا فإنّ خطاب ابن المقفع يختار الصيغة التي يتحقق بتوظيفها في الخطاب مقاصده وأهدافه من بثّ الأثر في نفس المتلقي، وحمله على الإذعان، وتغيير نظرته للحياة فتغدو اللفظة ذات البنية المختارة قادرة على التأثير في المقال الذي احتضنها واستثمرها، والمقام الذي أتت فيه. وفي هذا مؤشّر واضح على تخطيط ابن المقفع المسبق لكيفيّة بناء وحدات نصوصه الحجاجيّة وفق معايير وضوابط معينة، وهذا من أهم شروط نجاح الخطاب الحجاجيّ الذي يتوجّه بواسطته المرسل إلى المتلقي مطْلعًا إيّاه على ما يعتقد ويعرف، ومطالبًا إيّاه مشاركته اعتقاده ومعارفه. (عرابي، 2008، 18).

التضّادّ بين الأسماء والأفعال:

اتّكل خطاب ابن المقفع على الأسماء في بسط صور التضّادّ في الحياة، ومع ذلك فقد أتى بلوحات راوح فيها بين التضّادّ في الأسماء والتضّادّ في الأفعال فقال: "**وعلى العاقل أن يجعل الناس في طبقتين متباينتين، ويلبس لهما لباسين مختلفين؛ فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحفّظ في كل كلمة وخطوة، وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدّد، ويلبس لباس الأنسة واللطفة والبذلة والمفاوضة...**". (ابن المقفع، 1987، 19). ويقابل الخطاب بين صورتين لسلوك العاقل مع الناس بما يلائم مقولة العرب المشهورة: (لكل مقام مقال)، وقد تعددت مفردات التضّادّ لتقدم صورتين ترسمان سلوكين متباينين في مقامين مختلفين.

وقال: "**واعلم أنّ من العجب أن يبتلى الرجل بالسلطان فيريد أن ينقص من ساعات نصبه وعمله، فيزيدها في ساعات دعته وفراغه وشهوته وعبثه ونومه**". (ابن المقفع، 1987، 55). مقابلة أخرى ترصد فعل من أصبح سلطانًا على الناس، فهو لغفلته يظن أن هذا الابتلاء يتيح له مزيدًا من الترف واللهو، وأما العمل فله ما قلّ من الوقت والجهد، مقابلة ينتقد الخطاب من خلالها مَن ملكوا السلطان، ولم يدركوا حجم المسؤولية الملقاة على كواهلهم، لذلك استوفى ابن المقفع لوحته التقابليّة قائلاً: "**وإنّما الرأي له والحق عليه أن يأخذ لعمله من جميع شغله فيأخذ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه، وإنّما تكون الدعة بعد الفراغ**".(ابن المقفع، 1987، 55).

وقد سيطرت الأفعال المتضادة على بعض اللوحات النصيّة مثل قوله: "**تبصّر ما في الوالي من الأخلاق التي تحبّ له والتي تكره، وما هو عليه من الرأي الذي ترضى له، والذي لا ترضى. ثم لا تكابرنّه بالتحوّل له عمّا يحب ويكره إلى ما تحب وتكره.**" (ابن المقفع، 1987، 65).

ووظّف الحروف لإجراء التضّادّ بين الأفعال مثل قوله: "**ارفق بنظراتك من وزراء السلطان وأخلائه ودخلائه، واتخذهم إخوانا، ولا تتخذهم أعداء.**" (ابن المقفع، 1987، 71). وقوله: "**إن غُلبتَ على الكلام وقتًا، فلا تُغلبنّ على السكوت.**" (ابن المقفع، 1987، 93). تقابل يقرب بين عناصره ويضعها وجهًا لوجه لتكمل الصورة أمام المتلقي، وتحركه صوب الفعل المراد إنجازه.

وتصدر فعالية التقابل التأثيريّة في متلقي النصّ من تحقيقها بنية إيقاعية من نوع خاص يطلق عليها الإيقاع التقابليّ أو المعنويّ، أو إيقاع التّباين الذي لا يتأتّى من ظاهر المفردة وأصواتها المكونة لها، بل نحتاج فيه إلى الغور في أعماق الكلمة لبيان دقائقها ومعرفة المعنى الذي تحمله، وعندها يقوم الإيقاع على فكرة التقابل بين الألفاظ والمعاني، وتضاد الدوال في مدلولاتها. (حمدان،

1997، 240–241)؛ فالأثر الإقناعيّ في التضّادّ نابع من حركة المعاني الكامنة في النفس والمتفاعلة مع الحركة التعبيرية؛ ليكسبها نموًا حيويًا يسري من نظام العلاقات السياقية والعلاقات الدلالية الإيحائية. ويبقى التضّادّ وحدة عملية تتحكم فيها الأجزاء السابقة في اللاحقة، ويخلق الجميع معًا معنى كليًا. (حمدان، 1997، 241).

وتأسيسًا على ما سبق فإنّ الحجاج تقنية يتجسّد فيها الخطاب الإقناعيّ التأثيريّ، وابن المقفع تكلم بقصد التأثير، فجاءت ملفوظاته النصيّة ذات طبيعة حجاجيّة جهدت في الوصول إلى المتلقي بأفضل السّبل، وأكثرها نجاعةً، وأقلِّها كلفة لفظية حملت موقف مرسلها من منظومة مجتمعه الأخلاقيّة.

وما "الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السّبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ثم حيازة انسجامها الإيجابي، والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسيّة في الحسبان فإن الحجاج بلا غاية، وبلا تأثير." (الطلبة، 2010، 501/1).

خاتمــة

وبعد،

فقد استهدفت الدراسة قراءة مدوّنة ابن المقفع النثرية المتمثلة في الأدب الصغير "والأدب الكبير" في ضوء معطيات النظر الحجاجيّ. واستهلت الدراسة بتمهيد يعرض بعض ما يتّصل بالحجاج وأدواته وغاياته. وقد انجلت الدراسة عن عدد من الرؤى والنتائج:

– إنّ الحجاج فعل خطابي موجّه من مرسل إلى متلقّ، وهو قائم على سلسلة من الحجج تتحقّق في سياقات مقاميّة مختلفة داخل اللغة تستهدف تحريك متلقي الخطاب صوب الفعل والتغيير بما ينسجم مع المقام، وبما تتطلبه مقاصد النّص وطموحات المتكلم بوصفه حاملاً لرؤى معينة يسعى إلى تمريرها، أو ترجيحها في مقابل حجج ورؤى أخرى.

– توسّل ابن المقفع بسبل قوليّة أسلوبيّة متنوعة حملت رؤيته في القيم نفيًا وإثباتًا مستثمرًا ما في هذه الأساليب من طاقة حجاجيّة عالية تعمل في ذهن المتلقي وعقله. وهي: أسلوب الشرط، وأسلوب التفضيل، وأسلوب المقابلة. وقد هيمنت هذه الأساليب وسيطرت على المشهد الحجاجيّ في خطاب ابن المقفع.

– دعّم ابن المقفع هذه الأساليب بألوان حجاجيّة أخر تركيبيّة واختيارات معجمية ذات الشحنات التداوليّة المكتنزة بطاقات إقناعيّة مثل الجملة التعليليّة والسّببيّة، وأسلوب الإجمال والتفصيل فضلاً عن مجيء الأساليب في لوحات نصيّة مكرّرة البنية غير مرّة مع تغير في حمولاتها الدلاليّة مما أثراها بأفق دلاليّ رحب، وأشاع فيها إيقاعًا يجذب ذهن المتلقي وعقله. وكذلك إجادته انتقاء الألفاظ المنسجمة مع المقام، والعدول عن الألفاظ المنفّرة الصّادمة للوعي وللشّعور أو للحسّ المشترك، وتوظيفه للموجّهات التعبيريّة مثل: الإحالة الضميرية، والعوامل والروابط الحجاجيّة.

– حرص ابن المقفع على اختيار مكوّنات خطابه وعناصره بتخطيط واعٍ وموجّه تساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب من جهة، وتلائم مقام المتلقي وقدراته من جهة أخرى، فضلاً عن استجابتها لأفق انتظاره ما يستحوذ على وعي المخاطب، ويمدّ معه جسوراً تواصليّة ايجابيّة مقنعة.

المصادر والمراجع

إبراهيم، إيدير، القصديّة في الأدب الكبير لابن المقفع (دراسة تداوليّة)، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2011

إستيتية، سمير، الشرط والاستفهام في الأساليب العربيّة، المكتبة اللغوية، 2000

بديدة، يوسف، بلاغة الإيجاز في الشعريّة العربيّة، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008

البريكي، فاطمة، إشكالية التقديم والتأخير في الدرس البلاغي التراثي، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 20، الآداب 2، 255–317، 2008.

بلنجر، ليونيل، عدة الأدوات الحجاجيّة، ترجمة قوتال فضيلة، بحث في كتاب: الحجاج (مفهومه ومجالاته)، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد/الأردن، 2010.

الثبيتي، نويّر، تنوّع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2006.

جغام، ليلى، الحجاج في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013، حجاجيّة التمثيل في نماذج التشبيه في كتاب: "الكامل في اللغة والأدب للمبرد، مؤتمر المبرد الأزدي، نيسان / 2014، جامعة آل البيت.
حاكم، عمّاريّة، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، ط1، دار العظماء، سوريا، 2015.
الحدراوي، إيناس عبد براك، أثر القرائن العلائقية في اتساق النصفي نهج البلاغة(خطب الحروب أنموذجا)، ط1، مؤسسة نهج البلاغة، 2017.
الحلواني، عامر، شعرية المعلقة، ط1، صفاقس، التسفير الفني، 2007.
حمدان، ابتسام، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ط1، دار القلم العربي، سوريا.
حمداوي، جميل، المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، 2016.
خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990
الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي من الجاهليّة إلى القرن الثاني الهجري (بنيته وأساليبه)، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008.
الدهري، أمينة، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، 2010
الديوب، سمر، الثنائيات الضديّة (دراسات في الشعر العربي القديم)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، 2009
سلمان، علي محمد علي، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، (رسائله نموذجاً)، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2010.
شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والتطبيق، عن كتاب "نحو المعنى والمبنى"، ترجمة: أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.
شبعان، علي، الخطاب في الحجاج، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته.
الصديق، حاجي، من جماليات البنية الضدية في الخطاب القرآني، دراسة تطبيقية على بعض نماذج القرآنية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الوادي، مجلد11، عدد1.
صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007، في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، ط1، مكسيملياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011، البلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة أو (الحجاج) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، إشراف، حافظ إسماعيل علوي، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
الطرابلسي، محمد، مفهوم التوظيف في الدرس الأسلوبي الحديث، مجلة دراسات لسانية، عدد(3)، 127-137، 1997
طلبة، محمد سالم، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته.
العبد، محمد، النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، مجلة فصول، عدد 60، 2002.
عبدالرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2014
عبيد، حاتم، (2015)، التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيّان التوحيدي، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2015.
عرابي، امحمد، البنية الحجاجيّة في قصّة سيدنا موسى "عليه السلام"، رسالة ماجستير، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2008
عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط1، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر، لكويت، 1982
فرج، حسام، نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، ط2، القاهرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009.
الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ط1، دار قباء للطباعة والنشر، مصر، 2000.
فندريس، اللغة، تحقيق: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية.
القرطاجنّي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1966.
قواوي، الطيب، الانسجام النصّي وأدواته، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن 61-83، 2012.
الكدالي، عبدالله، تداولية المقام (بحث في الشروط المقامية في التراث النقدي والبلاغي)، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2017.
كروم، أحمد، أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجيّة في بناء الخطاب، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته.
المبخوت، شكري، النفي وشروطه النحويّة الدلاليّة، تونس، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.
محمود طلحة، القيمة الحجاجيّة لأسلوب القصر في اللغة العربيّة، مجلة الخطاب، الجزائر، عدد 3، 2008.
مسعود، علي زيتونة، الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، مجلة علوم العربية وآدابها، مجلد 7، عدد7.
ابن المقفع، عبدالله، الأدب الصغير والأدب الكبير، منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت، 1987
المودن، حسن، بلاغة الخطاب الإقناعيّ (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2014

الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة، ط1، تونس، مكتبة علاء الدين، تونس، 2012

Stylistic Features in Ibn Al-Muqaffa' al-Adab al-Sagheer and al-Adab al-Kabeer Arguments

Firyal Hudieb*

ABSTRACT

Ibn Al-Muqaffa' literature in al-Adab al-Sagheer and al-Adab al-Kabeer aims at convincing the reader to make change in his code of ethics, which shape the relationship between the psych and the others. This made Ibn Al-Muqaffa' follow a technique relying on the use of arguments and a pragmatic style to achieve his goals and make a change in the reader's code of ethics. This research investigates the argumentative and stylistic features Ibn Al-Muqaffa' relied on in his literature.

This research reveals that Ibn Al-Muqaffa' relied on three styles in his argumentative presentation, mainly: condition, preference, and comparison. He woven the three styles together to achieve his goals.

Keywords:.Stylistic Feature,Ibn Al-Muqaffa'.

* The University of Jordan, Jordan. Received on 24/7/2018 and Accepted for Publication on 2/6/2019.